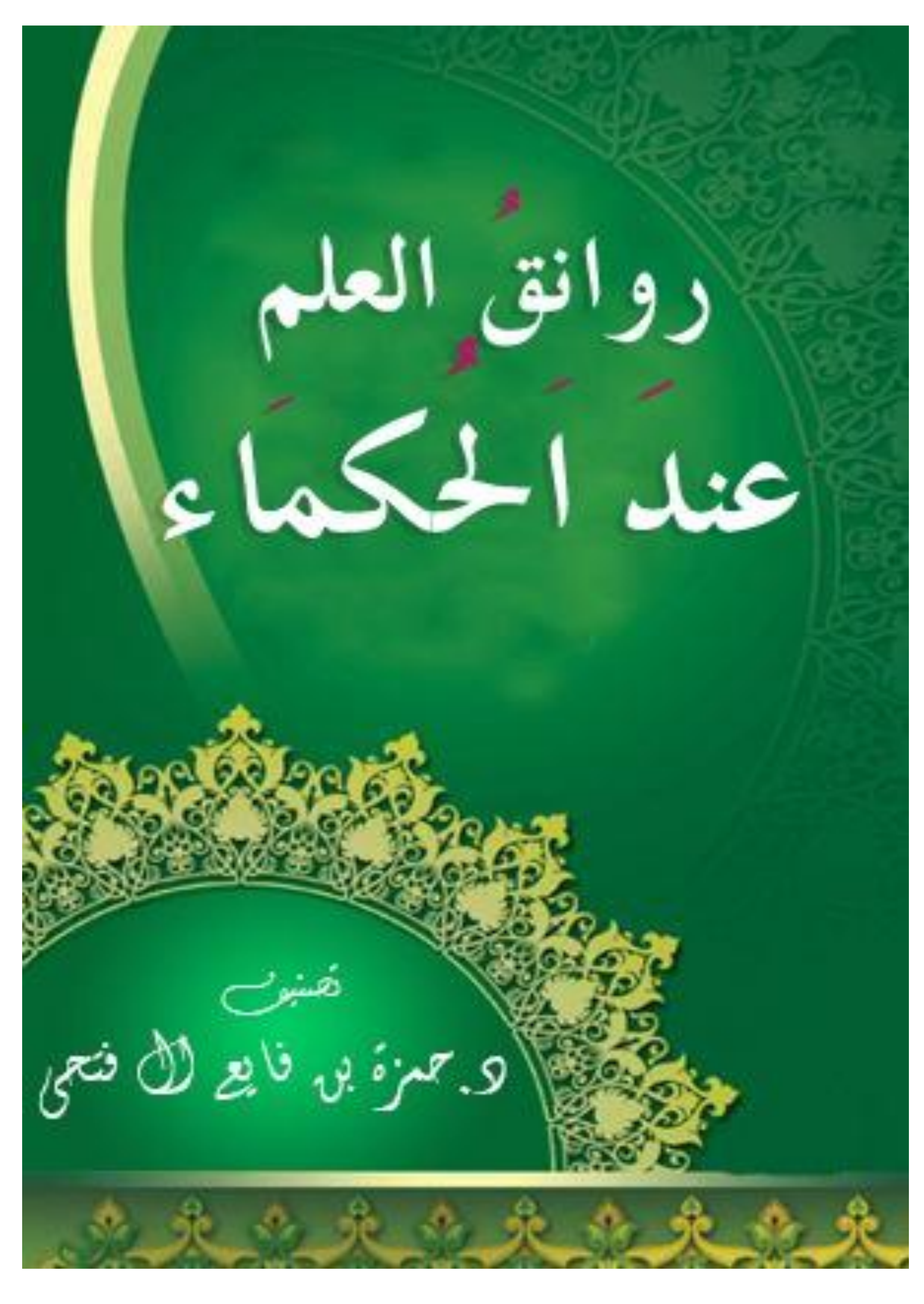

روانقُ العلمِ
عندَ الحكماءِ
تصنيف
د. حمزة بن فايع آل فتحي



بسم الله الرحمن الرحيم



فهرس المحتويات


تصميم
حازم حسن
HAZEM HASSAN
للتواصل :
00201129593573
hazemhass33@gmail.com

المنفذ

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وصلّى اللهُ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...



أما بعد :

فمن روائعِ البيان اللغوي شكلًا ومضمونا، العبارات المستحسنة والمختصرة في موضوع ما، ومن طيبها هنا ، ما قيل من حكمٍ في "العلم" منسابة، أو جُملٍ جزلة وبراقة، يرويها الأجيال ، ويتناقلها الطلابُ، ويرددها الخطباء. وبعضها تجري مجرى الحكم والأمثال ، أو تؤسس للمنهج والمنوال.

وقد تيسر قبل مدة جمعَ كلامِ الناس شعرا في "العلم ومقاماته" ، وصدر بها كتاب ميمون، لأنه احتوى موقف الشعراء وتجلياتهم

في العلم وشرفهِ وصفات أهله ، وبلغنا بها خمسين مقامًا ، تندرج تحت كتب أدب الطلب وصفات حملته وآفات الطريق.

وفي هذا الكتاب نجدد الفكرة ولكن من خلال الكلم المنثور، والبيان المطروز ، والمنقول عن السلف وحكمائهم، أو حكمة غيرهم مما يصب في فضلِ العلم أو توصيف حاله، أو التنبيه على شرفه وأخطاء أهله .

نذكُرها ونعلّق عليها بما يحسنُ ويطيب ، ويوضحُ ويصيب ، لعلها تكونُ مفاتيحَ حكمةٍ تُحفظ ، ومعالم منهجٍ تُقتفى ،تنسابُ على الألسن ، فتستقر في الفؤاد ، تُحدث أثرها ومنافعها .

وليس جديدا سردها واستذكارها، فقد طرقه الناسُ قديمًا وحديثا في كتب أدب الطلب ، لكن الجديدَ الحرصُ على ضبطها

، والتعليقـات المزينـة عليهـا، والتـي نرجـو أن تكـون كاشـفةً لمعناها، ومجليةً لفحواها، محببة لاستيعابها...!

فهلموا إلى مُستلطفات الكلم في الفقه والعلم، والتي يتعشقها الطلاب، ويهواها محبو العلم، ورواد المعارف والكتب .

ولقد كانت هذه الحكم والكلماتُ مؤثرة في حياة ذوي البصائر ، لما فيها من الدقة والمصداقية ، وحسن الوعي والمنهجية، وكنا اعتنينا بتراث السلف في العلم أقوالًا ومنهجًا ، وجمعنا سابقًا ما يشبه أصل الفكرة في كتبنا " تنبيهات الأكابر " و " سير مختصرة لعبرٍ مزدهرة " و " مواقف علمية للأئمة الأسلاف " .

وكلها مستخرجة من الثقافة الإسلامية وتراث أمتنا ، إلا ما كان

في آخرها ، استفيدت من تراث الأمم الأخرى ، والحكمة ضالة المؤمن ، من أي اتجاه كانت...

وقد حشَّى عليها القلمُ فوائدَ وشوارد ، للبيانِ والإحسان، كي يندفعَ العذر، ويصلح الفهم، وترسخ العبارة، والله الموفق .

محايل عسير

١٣/ ٢/ ١٤٤٣هـ



١/ المفاضلةُ بين العلم والمال:

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه (٤٠)هـ : (العلمُ خيرٌ من المال، لأن المالَ تحرُسه، والعلمَ يحرسك، والمالُ تفنيه النفقة، والعلمُ يزكو على الإنفاق، والعلمُ حاكمٌ والمال محكوم عليه، مات خُزَّانُ المال وهم أحياء، والعلماءُ باقون مابقي الدهرُ، أعيانُهم مفقودة ، وآثارهم في القلوب موجودة)[١]

- يغرُّ المالُ كثيرين ويُفتنون به، وهو سببُ عدول فئاتٍ منهم عن العلم، وانغماسهم في الدنيا وجمعها وطلبها ..! ومن المؤسفِ يعتقدونَ في المال كلَّ المجد والفخار، وتناسوا

[١] (جامع بيان العلم، ١/ ٥٧).

أمجادَ العلم ومعاليه ، وأنّ مجدَه فائقٌ كل ثروةٍ وزينة، وقد تطلَّبه الملوك والأغنياء ، وودُّوا لو وصلوا مصافَّ أهله ، أو حققوا نزرًا منه ..! ولعلي رضي الله عنه في جيّد الشعر : ما الفخرُ إلا لأهلِ العلم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ...

- ومن أسباب تفضيله على المال أنك تحرسه ، والعلم يحرسك ، والمال تبدده النفقة، والعلم يتبارك بالإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكومٌ عليه ..! أهل المال ماتوا وهم أحياء، لا ذكر ولا مجد ، والعلماء أحياء ولو ذهبت أعيانهم، فقد خلَّدهم العلم، وأبقاهم حُسنُ الذكر ...!

- وانظر إلى علماء الإسلام الأكابر، وما تضمنه تراثهم وكتبُ التراجم فيهم ومآثرهم ، تجد العجب العجاب ، كالفقهاء الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، والائمة الستة كالبخاريّ ومسلم، وكبار محققي العلم كالنووي وابن تيمية وابن القيم ، الذين غصّت بهم كتبنا ورسائلنا الجامعية ، بينما تجار أزمنتهم ، لا يكاد يذكر منهم إلا الشيء اليسير...
- وغايةُ هذه الفروق حملُ النفوس على المجاهدة فيه، والمجالدةِ في طلبه ، والسعي فيه بلا هوادة ولا تسويف، وقد تبين بالحس والواقع والمآلات أن العلمَ فاخرٌ، وسحرَه باهر، متجاوزٌ لكل الأمتعة والمغريات (وقل رب زدني علما) سورة طه . والسلام ...!



٢/ الغدوّ العلمي :

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٣٢)هـ : (اغدُ عالمًا أو متعلمًا، ولا تغدُ إمعة بين ذلك)[١].



- الغدوّ العلمي ضرورةٌ دينية ودنيوية لفهم الحياة واكتساب محاسنها، والحذرِ من مساوئها..! وخيرُ غدوٍّ يصنعه العبد، وأجلُّ سعي يسعى فيه، طلبُ العلم، وتزكية روحه، ودفع الجهل والخرافة عنه، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : (اغد عالمـًا او متعلما ...) فإياك وحرمانَ هذه المنازل، فإن العالمَ ينفع الناس، ويضيء الكونَ بأنوارِ الحكمة، والمتعلم يُشيعُ الخير ويبارك روحه، ويصون وقته وعقله...!

(١) الطَّحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ٤٠٧).

- وإياكَ وحياةَ الإمعات ، فتكون سبهللا ضائعا متقلبًا ، لا مع العلماء ولا المتعلمين ، وهو **الْمُتَرَدِّدُ الَّذِي لا يَثْبُتُ على رَأيٍ، وَيُوافِقُ كُلَّ واحِدٍ على رَأْيِهِ...** فتارةً محب للعلم، وتارة جاحد له، ومنشغل عنه، إن دعي للعلم تعلّم ، وإنْ دعي للهو تلهى، ولا يحزم أمره ، أو يعالجُ خلل عقله وسلوكه .
- والمرءُ أول ما يولدُ ويخرج في هذه الحياة وهو في حاجة ماسة إلى العلم وفهم الناس وصنائعهم ، لا سيما وهو يشاهد أبويه والجيران والسوق والمساجد وكيفية انتفاع الناس، فتحمله نفسُه على تلمس ذلك... ولذلك كانت المدارس له محببةً، ولو كان ضاق بها ابتداءً، لكن حينما

يـــرى فيهـــا كـــل أبنـــاء المجتمـــع يـــدركُ حتميتهـــا وضرورتها..(وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُـونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة النحل: ٧٨ ... والله الموفق .



٣/حرمانُ بركة العلم :

قال الإمامُ الأوزاعي إمام الشام رحمه الله تعالى(١٥٧)هـ :

(إنَّ اللهَ إذا أرادَ أن يَحْرِمَ عبدهُ بَركةَ العلمِ، أَلْقَى على لسانهِ المغاليط فلقد رأيتهم أقلَّ النّاس علمـًا)[١].

- للعلم بركةٌ تُعرفُ بتصحيح الطريق والإخلاص فيه، وتخيرِ محاسنه، والسير به على هدى من الله ، والتباعد عن المكدرات والمغاليط وغرائب العلوم ..! ولذلك الإفراط في التفاصيل أو شواذ العلوم وارتسام الجدال ، كل ذلك مما يذهب بركة العلوم..! ولهذا فسرت المغاليط أنها ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف...

(١) جامع بيان العلم ٢٠٩٩



- والمقصدُ التفاصيل الغائرة البعيدة، والتي تتنافى عن العلم وجوهره وحقيقته... وبعضهم فسَّرها بصعاب المسائل ومعضلاتها ، أو ما يسألُ على وجه التعنت والتعجيز للشيوخ والأعلام ، ولذلك قال العلامة الخطابي رحمه الله في شرح الحديث الناهي عنها وهو مضعف : "المعنى أنَّه نهى أن يُعتَرَض العلماء بصِعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط، ليُستَزلوا ويستسقط رأيهم فيها، وفيه كراهة التَّعمُّق والتَّكلُّف فيما لا حاجة للإنسان إليه من المسألة، ووجوب التَّوقُّف عمَّا لا علم للمسؤول به، وقد روينا عن أبيٍّ بن كعب: أن رجلاً سأله عن مسألة فيها غموض، فقال: "هل كان هذا بعد؟"، قال: لا، قال: "أَمْهلني إلى أن يكون".

- وقسْ عليها الشذوذاتِ وتوافه العلم ورافع راية المجادلة بغير حق، ومماراة السفهاء، والتشدق بالعلم والفهم، وهو قليل البضاعة أو لا يزال في أول الطلب، وفي بداية سلالمه، والله الموفق .



٤/ البابُ الأعظم لإبليس:

قال الإمامُ ابن الجوزي رحمه الله تعالى(٥٩٧)هـ : (اعلم أنَّ البابَ الأعْظَمَ الذي يَدْخُلُ منه إبليسُ على النَّاسِ هو الجهل)[١].

- مِن مداخلِ إبليس على بني آدم صرفُهم عن العلم، وجعلُهم أسرى في الجهل، حتى يتاحَ له التسلطُ عليهم والتلبيس وإقامة الفتن والضلالات حولهم، فيعبدونه بدلا من عبادة الله، ويعظّمونه بدلًا من تعظيم الله... والسبب استيلاؤه عليهم من خلال شباك الجهل ، وهو شجرة تنبت فيها كل الشرور كما قال بعضُ الأعلامِ..! ولذلك نُدبنا إلى العلم ، وحضنا الإسلامُ على التماسه والتسارع فيه..(وقل رب زدني علما) سورة طه .

---

[١] تلبيس ابليس ص ١٢١ .

- وصحّ قوله صلّى اللهُ عليه وسلم في الحديث الأبهج :(طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم). والإتيان بالمفروض المبدئي كاف بإذن الله في دفع ضراوة الجهل، والانتصار على إبليس وجيوشه ووساوسه...

- ومن فاته ذلك كان تابعا للشيطان وجهالاته، جنديًا في الضلالة والبدعة والمخالفة الشرعية ..! لأنه ما هُزم الشيطانُ بشيء يضاهي العلم، بل هو عدوه اللدود، يهزمُ العُبَّاد ولا يهزمُ العلماء، يضللُ الأخيار، ولا يضلل الفقهاء، والفرقان بين كل هذه الأصناف العلمُ الشرعي وطلبه وحُسن البلاء فيه، فمن تعلّم فاز وانتصر ، واستصغر الشيطان وحقره ، وقد اشتهر على الألسنة حديث لا يصح، وحكم بوضعه: (فقيهٌ



واحد أشدُّ على الشيطان مـن ألـفِ عابـد). رواه ابـن ماجـه في التقدمة ، ويغني عنه نصـوصُ العلـم التنويريـة القاضـيةِ علـى الجهل وتوابعه ، والمظهرةِ شرفَ العلمِ والتماسَه، والسلام .

٥/ أشرف الرغائب:

قال القاضي أبو الحسن الماوردي(٤٥٠)هـ رحمه الله تعالى:

(اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا رغبَ فِيهِ الرَّاغِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَاقْتَنَاهُ الْكَاسِبُ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَفَضْلَهُ يُنْمِي عَلَى طَالِبِهِ)[١].

- لو وُوزنَ بين رغائب الدنيا وثرواتِها لكان العلمُ أشرفها ، ومقدمها، وتاجها..! إذِ المال أقل منه، والجاهُ لا يوازي حسنه، والأسفارُ لا تقارن لذته وجماله.... فكيف يُساوى الجليلُ بالقليل، والجميلُ بالرديء، والعالي بالنازل... قال تعالى: (يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

---

[١] أدب الدين والدنيا للماوردي صـ ٧١.



درجات) سورة آل عمران. فيا للهِ كم يرتقون درجات في الدنيا والآخرة ، وكم يحققون من مكاسب وأمنيات...

- ولذلك صحَّ قولُهم هو أشرف المكاسب ، وأطيبُ الرغائب، وأعظمَ ما تنوفس فيه، لأنَّ شرفه يعودُ على صاحبه ، فتشعُّ الثمرات ، وتضوعُ البركات ، وتبزغ الأمجاد والسعادات..!

- ومن ثمراته: الثوابُ الكبير وتزكيةُ النفس والأنام، ونفعُ الخلائق ، وزحزحةُ الجهل ، وردعُ الشياطين وأذنابهم ، وبلوغُ المجد والتحضر ، وإصابةُ المنى والارتقاء ، ومزاحمةُ الأعداء والخصوم ، وفقه الحياة ودروسها



ونواميسها..(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) سورة العنكبوت . والله ولي التوفيق .



٦/ مراتب العلم :

قال الإمامُ سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى (١٩٨)هـ : (أوّلُ العِلْمِ : حُسْنُ الاسْتماعِ، ثُمَّ الفَهْمُ، ثُمَّ الحِفْظُ، ثُمّ العملُ، ثُمَّ النّشْرُ.. فإذا استمعَ العبدُ إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيه بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ على ما يُحِبُّ الله تعالى، أَفْهَمَهُ كما يَجِبُ، وجَعَلَ لَهُ في قَلْبِهِ نُوراً).

- للعلم مراتبُ ومقدمات إذا طُبقت على وجهٍ حسن ، حِيزَ المنالُ، وحقّق المراد، ومن ذلك قالوا أولًا: حُسن الاستماع للشيوخ والأساتذة ، وعدم مقاطعتهم أو تعكير دروسهم، وعدم الإزعاج واللغط أثناء الدرس. وثانيًا: فهم المراد وعدم استعجاله ، والسؤال في وقته عما يخفى ويشكل.



وثالثًا: حفظ المواد ، وضبط النصوص ، واستحضار الأدلة والمسائل ، بحيث يُلتمسُ منه الجد والمثابرة وإرادة العلم وبلوغه .

- ورابعا : العملُ به وتطبيقه ، والمبادرةُ إلى تنفيذه والتحلي به، كما قال تعالى : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدَّ تثبيتًا..) سورة النساء .وخامسًا: نشرُ ذلك وتبليغه ، والسعي إلى نقله ..(ومن أحسنُ قولًا ممن دعا الى اللهِ وعمل صالحًا..) سورة فصلت .

- وإذا صحت النيةُ ، وطابَ المقصدُ في علم الوحيين وجمعهما، فتح اللهُ على عبادِهِ ، وفهّمه وشرحَ صدرَه ،



وجعل في صدره نورا وبهجةً وحكمة...! وبقدر المصداقية والإخلاص تكون البركة والفتح والتوفيق ..!



٧/ أدبُ مجالسة العلماء:

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما (٥١)هـ لابنه: (يا بُني، إذا جالستَ العلماء ، فَكُنْ على أن تسمعَ أحرصَ منكَ على أن تَقُول، وتَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تَتَعلَّم حُسْنَ الصَّمْتِ، ولا تقطعْ على أحدٍ حديثه وإنْ طَالَ حتى يُمْسِك)[١].

- العلماءُ أشياخُك الذين تتلمذتَ عليهم، فإذا حضرتَ عندهم فاحضرْ بسكينةٍ ووقار، ولا تراجع أو تقاطع حتى يأذنوا لك بالحديثِ ، ولتكن نيتَك العلمُ قبل الكلام والتعقب أو الاستدراك ، فما أجملَ الطالبَ منصتا مقبلًا على شيخه بكل أدبٍ وتعظيم ، يعطيه وجهَه ، ويقبل بعقله ، ويصغي باهتمامه...

---

(١) الأمالي؛ لأبي علي القالي (٢/ ١٨٨).

- ومن الآداب أيضا: حُسنُ الاستماع التام ، الآتي بعقل وحفاوة واستفادة ، ونتعلمه كما نتعلم حُسن الصمت المطبق، الذي لا كلام معه ولا مراجعة...! ومنها : التأدبُ مع المتحدث ولو طالَ حديثُه، وكثُر كلامُه، ما دام أنه في رتبةِ المشيخة ويقوم على التدريس ونفع الآخرين ، ويصغى له بلا تضجرٍ وتأفف ، ويقيدُ كلامه، وتسجلُ فوائده، لأن العلمَ يتطلبُ الصبر والاهتمام ، وليس الكسل والفرار، ولا يخرج إلا لحاجة ، والسلام .

- ومن أدبِ المجلس في السنة حديث النفرِ الثلاثة في الصحيحين عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ

مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ ". قال النووي رحمه اللهُ: (وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه) أي : لم يرحمه ، وقيل : سخط عليه ، وهذا محمول على أنه ذهب معرضا لا لعذر وضرورة. والسلام .



٨/ ذهابُ البهاءِ العلمي:

قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى(٢٥٨)هـ : (إنَّما يذهبُ بَهاءُ العِلْمِ والحكمةِ إذا طُلِبَ بِهِما الدَّنْيَا).



- للعلم بهاءٌ وجمالٌ ووقارٌ، يلبسه اللهُ أهلَه الصادقين ، الذين يطلبونه ابتغاءَ وجهه، ويَصدُقون في أدائه ، ويبلغونه بإخلاص واقتدار ، ويتعفَّفون في بلاغه، وينصحون في رسالته..(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) سورة النمل .
- ويسقطُ ذلك البهاءُ إذا أُهين العلم وابتُغي به الدنيا، وسُعي به إلى حطامها ، والتُمست به الزخارفُ والمتارف..(ودوا لو تدهنُ فيدهنون) سورة القلم . وقال تعالى :(مَن كَانَ يُرِيدُ



الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) سورة هود .

- وإذا تحولَ العالمُ بعلمه إلى الدنيا هانَ في أنظار أهليها ، وزُهد في كلامه ، وقلُت هيبته، وأسيئ إلى الدين، وشوهت الأخلاق ، وتلوعب بالشرائع ، وتلاشت البركة، ووقع النسيان ، وضاقت عليه العلوم بما رحبت ، وتنغصت حياته، وحرم حلواهُ ومناه ، ... ولم أقضِ حقَّ العلم إن كان كلما... بدا طمعٌ صيرتُه ليَ سلما ....! والله المستعان



٩/ القلمُ المضاء :

قال أبو حفص بن برد الأندلسي رحمه الله تعالى(٤١٨) هـ :

(لله دَرُّ القَلَمِ ما أعجبَ شَأنهُ!! يَشْرَبُ ظُلمةً ويَلْفِظُ نُوراً، وقد يكون قلم الكاتب أمْضَى مِن سيف المُحارب، وقد يكون سيفًا يَنْفُذُ في المقاتل، وشَفْرةً تطيحُ المفاصل) .



- القلمُ نعمةُ اللهِ على عبادهِ ، ومنحته الدارّة بكل حُسنٍ وخير ومنفعة ...(ن ، والقلم وما يسطرون) سورة القلم . سُطرت به العلوم والفهوم، وضُبطت به الأسفارُ والأفكار ، وحفظ الله به أمورهم وشؤونهم ..! قال العلامةُ ابن القيم رحمه اللهُ: فأقسم بالكتاب وآلتهِ، وهو القلم الذي هو إحدى آياته، وأولُ مخلوقاته الذي جرى به قدرُه وشرعُه ، وكُتب به

الـوحيُ وقُيّـد بـه الـدين وأُثبِتـت بـه الشـريعةُ، وحُفظـت بـه العلـوم، وقامـت بـه مصـالحُ العبـاد في المعـاش والمعـاد، فوُطدت به الممالكُ، وأمنت به السبل والمسالك، وأقام في الناس أبلغَ خطيبٍ وأفصحَه وأنفعَه لهم وأنصحه وواعظًا. تُشفي مواعظُه القلوب من السقم، وطبيبًا يبرئ بإذنه من أنواع الألم...

- يكسرُ العساكرَ العظيمة على أنه الضعيفُ الوحيد، ويخافُ سطوتَه وبأسه ذو البأس الشديد، بالأقلام تدبرُ الأقاليم، وتساس الممالك. والقلمُ لسانُ الضمير يناجيه بما استتر عن الأسماع، فينسجُ حلل المعاني في الطرفين، فتعود أحسنَ من الوشي المرقوم، ويودعها حكمُه، فتصيرُ بوادرَ



الفهوم . والأقلامُ نظامُ الأفهام ، وكما أن اللسانَ بريدَ القلب فالقلمُ بريدُ اللسان ، ويولِّد الحروفَ المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم ، والقلم بريدُ القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت.

- وإذا قضى اللهُ له السداد والتوفيق صار أمضى من السيفِ وأبلغَ من القنا ، وأوجعَ في الخصوم والمنافقين ..! ومن طرافته أن يشرب حبرًا فيخرج دررًا ، ويلتهم ظلمةً، فيشع أنوارًا ، ويستنزف سائلا ، فيموجُ حكمةً ونعمةً وسعةً، يورثُ قوة وسعادةً واستقلالا ، ويقهرُ الله به عدوًا متربصًا ، وينصر دينًا ويعلي أمةً.. **والسلام .**



١٠/ ديمومةُ التعلم :

قال الإمامُ المفسر سعيد بن جبير رحمه الله تعالى(٩٥)هـ: (لا يزالُ الرَّجلُ عَالِمـًا ما تَعَلَّمَ، فإذا تَرَكَ التَّعَلُّمَ وظَنَّ أنّه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أَجْهَلُ ما يكون).



- العلمُ عمليةٌ مستدامة، وجهدٌ تواصلي، واستغراقٌ زماني ، ولا حدَّ له بوقت أو مرحلة أو شهادة أو منصب..!! والسببُ اتساعه ، وضخامةُ محيطه، وأنه لا يحاط به، أو تنال كل فصوله ، ولذلك لا يزالُ العاقل ينهل منه، ويرتشف زلاله، ويجمع عيونه ، ويتلذذ بجمعه وتحصيله... ومن اعتقد الكفاية التفَّت به قيودُ الجهالة، وحاصرته من كل مكان ..!



ومن لوَّح بالاستغناء عُد في الجهال، كما قال سعيد هنا رحمه الله ونظيرها عن ابن المبارك... (واكتفى بما عنده فهو أَجْهَلُ ما يكون).

- لأنَّ المستكفي والمستغني قد حجَبا بابَ التعلم ، وادعيا الفهم والطلاقة ، وأنَّ ما جمعاه ابتداء أو إبانَ المرحلةِ الجامعية، أو ذلك المنصب الكبير ، كافٍ للإفادة والإجابة والفتيا... كلا .. فلا زلنا نتعلم، وسنظلُّ نقرأ، وسنمكثُ محبين للعلوم والفوائد من أي بابٍ جاءت وحُصِّلت...!
- والاستغناءُ قد يجر إلى الكِبر ، وارتداء الأنفة الأبية للعلم واستلهام العبر والفوائد .. مما ينتجُ عنه ردُّ الحق، وتكذيبُ المصادر ، ورفضُ البراهين ، واستصغارُ المفيدين..! لأنه



قـد أغلـق ألبـاب ، وأحكـم قفلـه ، واسـتجلبَ خيلَـه ورجلَـه وجيشه ، بحيث لم يُبقِ نافذةً للحل ، وبابا للمفاهمة ، ولا قناةً للاستنارة، والله المستعان .

- وفي تعلّم العلماء وسؤالِ الشيوخ لمن دونهم، وهم في مناقبهم لدليلُ تواضعهم وحبِّهم العلم.. وأستذكرُ مراجعة بعض شيوخنا في الجامعة لي في مسائل حديثية وتأليفية بعد تخرجنا، -حسَّنوا ظنهم بالعبد الفقير- فجاوبتُ بما فقهت.. ولكنها أعطتني درسًا في التواضع، وحسن الصحبة، والمذاكرة العلمية المستمرة ، فقفوتُ نهجها ، واتبعتُ منوالَها ، ولله الحمد والمنة.



١١/ أشبارُ العلم :

قال الإمامُ عامر الشَّعْبِيُّ رحمه الله تعالى(١٠٣)هـ : (الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ : فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ الشِّبْرَ الثَّانِيَ: صَغُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمَّا الشِّبْرُ الثَّالِثُ : فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا).



- العلمُ محنةٌ ومنحة، فهو منحة للأتقياء ، ومحنة للأشقياء الذين لا يفقهون درسه، ولا يتعظون بأدبه، ومن أجل آدابه: عدم الاغترار والتواضع فيه، واستيقان طوله وسعته، ولذلك كما قال بعضُهم : لا تكن أبا شبر...! وهو ذلك المغرور الذي حفظ مسألةً أو مسألتين، ثم يمضي بها شامخا أنفه،



مستعليًا على إخوانه ، منكمشًا من كل أدبٍ وحلم ورحمة...

- **ولذلك يحذرُ الشعبي** رحمه الله من أشبار العلم، فأولها متعلم مبتدٍ شامخٌ بأنفهِ ، والثاني مستصغرٌ حالَه ، ومدركٌ أنه لم ينلِ المراد، ولا حقّقَ المرام... كالمتواضع تقريبًا ، الذي تفقه ولم يدَّع الفقه ، وتعلّم ، ويدفع الطلاب تواضعا وإشفاقًا...!

- **والشبرُ الثالث أفضلُها وأعلاها**: علمَ أنه لا يعلمُ شيئًا أبدًا ، فهو يعتقدُ ما تحتَ التواضع ، وأنه، دائما ما يُبرزُ الجهل والتقصير ، وأن ما عنده النزرَ اليسير، والفقه الرخيص، والاطلاعَ المحدود ، ويجلسُ جلسةَ الفقراء المتواضعين ،

ويسلِّمُ على الجميع ، ولا يخصُّ نفسُه بلقبٍ، أو مرتبةٍ ، أو دالٍ، أو شارات مخصوصة ... فذلك العالمُ بحقٍ والفقيه بصدقٍ ، ومَنْ يبلغها، أو يلامس أغصانها ...والسلام ..!



١٢/ من منافع العلم :

قال بعض البلغاء: (تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقَوِّمُك وَيُسَدِّدُك صَغِيرًا، وَيُقَدِّمُك وَيُسَوِّدُك كَبِيرًا، وَيُصْلِحُ زَيْفَك وَفَاسِدَك، وَيُرْغِمُ عَدُوَّك وَحَاسِدَك، وَيُقَوِّمُ عِوَجَك وَمَيْلَك، وَيُصَحِّحُ هِمَّتَك، وَأَمَلَك).



- منافعُ العلمِ لا تَكادُ تُحصى، محاسنه لا تكادُ تنضب، بحارُه زاخرة، وعوائدُه زاهرة، نورٌ وعزٌّ ورفعة، ومجدٌ وثوابٌ ومتعةٌ .. ومنها كما قيل هنا : يقوِّم الاعوجاج ، ويَهدي الصراط المستقيم والطريق القويم . وكذلك يسددُ الصغير، ويُبرزه على الملأ، ويجعلُه هامةً وقامةً في الناس، وكم من شبابنا، عباقرةً برزوا في المسابقات المحلية

والعالمية، وتُوقعَ لهم المجدُ والرفعة السامية، حتى ينفعوا بلادَهم وأمتهم..

- ومنها: التقديمُ والتصدر ُعلى الناس، وتصبحُ سيدًا بلا سيادة، ووجيهًا بلا وجاهة ، وأميرًا بلا إمارة ، سوى فضلِ العلم ومكانته واحتياج الناس ومحبتهم لك... (يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجات) سورة آل عمران . ومنها : إصلاحُ ما فيك، ودرء شرك وفسادك ، بما يقذفه فيك من شمائل وأخلاق .. (إنما بُعثتُ لأتممَ مكارمَ الأخلاق).
- ومنها: إرغامُ العدا وقهرهم، وكفُّ أذاهم ، ولربما اعترفوا بك وبدورك خلافًا للأمس ... ولابنِ الوردي : في ازدياد



العلم إرغامُ العدا... وجمالُ العلم إصلاحُ العملْ...! ومنها : يعدل ميلك وزللكَ، ويعالج همتَك وأملكَ، بحيثُ تنتشرُ بعد الضيق ، وتكبرُ بعد الصغر، وتنطلقُ بعد القيد، لأنَّ مواده صالحةً نافعة ، تبعث على النشاط ، وتشعل القلب، وتلهب العزمات .. والله الموفق .



١٣/ الاحتياجُ البشري للعلم:

قال الحسَن بن صالحٍ – رحمه الله – (١٦٩)هـ : (إنَّ الناسَ لَيحتاجون إلى هذا العِلم في دِينهم، كما يحتاجون إلى الطَّعام والشَّراب في دنياهم).



- لو وعى الناسُ أهميةَ العلم وعطشَهم الروحي له، لتفكّروا فيه كالطعامِ والشراب، وتبادروا إليه ، وقاتلوا من أجله ، وتسامَوا في حبه ..! وكما يحبون الطعامَ والشراب ويسهمان في حفظ الصحة، والبقاء الدنيوي ، فكذلك العلمُ لا دينَ بدونه، ولا استقامةَ بسواه، ولا سعادةَ من غيره....!
- ومن الحوائج العلمية : فقهُ الصلاة وسائر العبادات ، والسلامة من البدع والمخالفات ، ومعرفة الطيبات

والخيرات، ودواء للحيرة والشبهات، والانتصار على النفس والشهوات، وكبح جماح العدو والحسرات ...

- وإذا استيقن الجميعُ هذه الحاجة، وعدّوها ماسةً عاجلة، تفانَوا في تحصيلِها، وشُيدت المدارس، وأُبرزت الجامعات، وتجمعت الأفواج من كل مكان علما وحبًا وتحصيلًا ، وطُبعت الكتب، وصارت المكتبات كالمطاعم في كل مكان وشارع، بل غذّيت المساجد بها، وغصَّت بها الدروس والحلق.. لأن الأمر لم يعد فضلةً ولا سنةً، بل واجبًا شرعيًا ، وضرورة دنيويةً حضارية... والسلام..



١٤/ حراسُ الأرض:

قال سفيانُ الثوري الفقيه المجتهد – رحمه الله – (١٦١)هـ :

(الملائكةُ حُرَّاس السماء، وأصحابُ الحديث حُرَّاس الأرض).



- كما أن الملائكةَ حرسٌ في السماء اصطفاهم الله لذلك، فللأرض أيضا حرّاسُها وأجنادُها، وهم العلماءُ وحماة الشريعة ، وأخصُّهم المحدثون وحملةُ الآثارِ ، حفاظها وصيارفتها ، الذين جدّوا فيها، وسافروا من أجلها وميزوا صحيحَها من سقيمها، وفقهوا الرواية وشروطها، حتى وصلتنا سليمةً آمنةً..

▪ ومن هؤلاءِ حفاظُ الإسلام المشاهير ، وأصحاب الكتب الستة، والتسعة، وأرباب المسانيد الأخرى ، الذين تميزوا حِذقًا وصناعةً ، ونقدا وتحقيقًا..! ولذلك شواهدُ منها : عملُهم وتصنيفاتُهم ، وكتب الرجال والقواعد، والتي ما كُتبت إلا حراسةً وحماية للسنة ، وقد ذكر الإمامُ الذهبي رحمه الله في " تذكرة الحفاظ " قال إنه جئ الى الخليفة هارون الرشيد بوضاع زنديق، فأمر بضرب عنقه فقال له : لَم تضربُ عنقي ؟ قال : لأريح العباد منك ، فقال : يا أمير المؤمنين أين أنت من ألف حديث – وفي رواية أربعة آلاف حديث – وضعتها فيكم ، أحرم فيها الحلال ، وأحللُ فيها الحرام ، ما قال النبي منها حرفًا فقال له هارون الرشيد : أين

أنت يا عدوَ الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك؟ فإنهما يَنخلانِها نَخلاً فيخرجانها حرفًا حرفًا .

- وكان الإمامُ مالكٌ لا يغترُّ بورع المحدِّث وزهادته، حتى يكونَ من أهل الفن والصناعة، الذين أتقنوا رواية الحديث، قال رحمه الله: " إن هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونه، لقد أدركتُ سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند هذه الأساطين - وأشار إلى المسجد - فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن". وهذا ديدنهم في النقل والرواية والتحديث والدراية ، رحمهم الله .



١٥/ مجالسُ الأنبياء:

قال سهلُ بن عبدالله التُستَري - رحمه الله (٢٨٣)هـ -: (مَن أراد أن ينظرَ إلى مجالس الأنبياء عليهم السلام، فلينظُرْ إلى مجالسِ العلماء)[١]



- انما شابهت مجالسُ العلماء أحوالَ الأنبياء بسبب تقواهم وتعلقهم بخالقهم تعالى، وترغيبهم في الآخرة، وحملانهم وظيفةَ الأنبياء الدعوية ورسالتَهم الجادة فكرًا وعملًا واجتهادًا...! ولأن مجالسهم مجالسُ ذكرٍ ونور وهداية، قد خلت من اللغو، وجانبَها الكذبُ، وتحاشتها الغيبة

---

(١) صفة الصفوة - لابن الجوزي - جـ ٢/ ٢٧٣).



والنميمة...! وكيف لا تكونُ مجالسَ أنبياء وقد أُسست لتعظيم الله وعبادته والدعوة إلى مرضاته ..؟!

- ولهذا عظُمت وتفخمت ، فإنها أعظمُ المجالس وأطيبُ اللقاءات ، وأحسنُ الدروس ، ما نزلها نازلٌ إلا ابتهج ، ولا قصدها متعلمٌ إلا انتفع ، ولا أمّها آمٌّ الا انشرح وتعافى... فهي دواءُ كلِّ علة، ورواءُ كلِّ غُلة...! تغشاها الرحماتُ ، وتنزلها السكينة ، وتحفها الملائكة ، ويذكرهم الله في الملأ الأعلى ...

- وفي مجالس العلماء : إحياءُ قلبٍ، وتزكيةُ روح، وإصلاحُ سلوك، وتقويمُ منهج، وتربيةٌ جادة ، وتنويرٌ موقظ، وتنبيهُ معالج . ولا تزال غشيانها يعود بالخير والمتعة والانتفاع ،

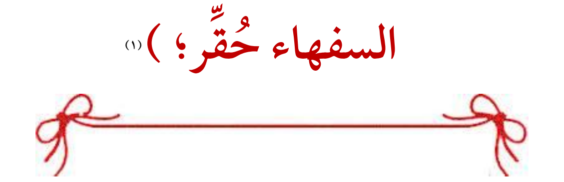
ولو لم يكن فيها إلا صيانةُ الزمان من التباب لكفت ووفت،

والسلام ...!



١٦/ تخيّر جلاسك :

قال بعضُ الحكماء: (مَن صاحَبَ العلماء وُقِّر، ومَن جالس السفهاء حُقِّر؛)[١]



- والسببُ لأنه اكتسبَ مَنْ خيرِهم وشرفِهم ، ونالـه بركـةُ العلم وصحبةُ الصالحين ، فألفَى نورا ، وحصَّل خيرًا ، وأحرز درراً..! وحمله جلوسُه معهم على الوقار واللطف، ولم يعد يفعل فعل المهرجين التعساء، وتأدبت أخلاقه، وانزجرت فعاله...! وصار يقالُ جليسُ الفضلاء، ونديم الخيار ...

(١) أدب الدنيا والدين – للماوردي – صـ ٤١ .



- خلافًا لمن جالسَ السفهاء، حُقِّر وأهين، ولم يُبجَّل ويوقر، وحمل من صفاتهم العارَ والمشين، والسامَ والكريه...! وفي هذا دليلٌ على أهميةِ الصداقة وفضل المجالسة النافعة، وفي الحديث المشهور: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). أخرجاه.
- قال الإمامُ النووي رحمه الله:" فيه تمثيلُه صلى الله عليه وسلم الجليسَ الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلةُ مجالسةِ الصالحين وأهل الخير



والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهيُ عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع "، ومن يغتاب الناس ، أو يكثر فجرُه وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ، ومعنى : (يحذيك) : يعطيك ، وهو بالحاء المهملة والذال، وفيه طهارة المسك واستحبابه ، وجواز بيعه ، وقد أجمع العلماء على جميع هذا ". والله الموفق .





١٧/ منارُ البلاد :

قال عبيدالله بن أبي جعفرٍ – رحمه الله (١٣٤) –: (العلماءُ منارُ البلاد، منهم يُقتبَس النورُ الذي يهتدى به)[١].



- لا تنهض الأممُ والدول إلا بالعلماء البارعين في كل مجال، والذين يبدعون في تخصصاتهم فيخدمون دينَهم وبلدهم وشعوبهم ، لأنهم منارُ الحياةِ، ومعالمُ الاهتداء ، وسُرُج الحضارة والارتقاء..! وهذا يعني تنميةَ الحياة التعليمية وتعزيزَ قدراتها ومجالاتها ، حتى يبيتَ العلم أسمى غاياتِهم وأمانيهم..

---

(١)جامع بيان العلم وفضله – لابن عبدالبر – ١ / ٢٢٣).

- فيتغيرً النشء، وتسمو الأهداف، وترتقي الأجيال ، وتصبحُ تنميةُ العقول عندهم خيرًا من تنمية الأبدان ، وكمالُ القلوب خير من كمال الأجسام ، والأفكارُ غالبة على المترفات والملهيات .. وعندها نلمس التطور المدني والحضاري ، وتنافس بلداننا الأمم الأخرى ، وتتفوق عليها..
- والمهم الارتقاءُ بالعلوم وتربية الأجيال على ذلك، وإشعال فتيل الهمم، وشحذ العزائم ، وتقديم الباقي إلى الفاني، وإيثار النفيس على التافه والتعيس... إذا غامرتَ في شرفٍ مرومٍ... فلا تقنع بما دون النجومِ...! فلتكن همَمُنا عالية، وطموحات شبابنا راقية، لا ترضى بالدون ولا

المهين، وتسعى سعيَ العالين الناجحين ... (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) سورة المطففين .



١٨/ تصحيحُ القصدِ العلمي :

قال هشامُ الدَّستوائي رحمه الله (١٥٤)هـ : (واللهِ ما أستطيعُ أن أقولَ أنِّي ذهبت يومًا قط ، أطلبُ الحديث أريدُ به وجهَ الله عز وجل) .

- أشدُّ ما يُتعبُ الطالبَ والغادي في العلوم ألمُ نيته وحُسن توجيهها ، بحيث يصحُ مسارها، وتطيبُ تفاعلاتها، ولا تُفسدُ على صاحبها تعبه ومسيرته..! وهنا يصدقُ هشام رحمه الله ، مع نفسه ومع الناس، وان التوجهات الدنيوية تزاحمه في نيته ومقصده ...! ولذلك يعلقُ الإمامُ الذهبي رحمه الله على كلام الدستوائي فيقول : والله ولا أنا ، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا ، وصاروا أئمةً يقتدى



بهم ، وطلبه قوم منهم أولا لا لله ، وحصلوه ثم استفاقوا ، وحاسبوا أنفسهم ، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق . كما قال مجاهد وغيره : طلبنا هذا العلم ، وما لنا فيه كبير نية ، ثم رزقنا الله النية بعدُ ...

- وبعضهم يقول : " طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله . فهذا أيضًا حسن ، ثم نشروه بنية صالحة . وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا ، وليثنى عليهم ، فلهم ما نووا.... "

وهذه مقاصدُ الناس في العلم يقسمهم الذهبي ويبينُ فضلَ من سلف على من خلف، وأنهم في جهادٍ ومعالجة حتى تستقيم أمورهم ، وتصلح أحوالهم..!



- وليس معنى تصريح بعضهم بضعف النية أنه راضٍ بها، بل هو في جدٍّ وجلَد وتصحيح لها، حتى ينتصرَ على شهوات الذات، ويلمعَ الإخلاص في قلبه..! وإلا فإن الدستوائي والذهبي رحمهم الله من أئمة الإسلام الكبار، وممن انتفع الناسُ بآثارهم ، وربما كان ذلك شكلًا من المجاهدة أو من باب التواضع ، **والله الموفق .**



١٩/كيفيةُ التمكن العلمي:

عن يونُس قالَ: قالَ لي ابنُ شِهَابٍ رحمه الله (١٢٤)هـ :

(يا يُونُس! لاَ تُكَابِرِ العِلْمَ، فإنَّ العلْمَ أَوْدِيَةٌ ، فأيّهاَ أَخذْتَ فيهِ قطَعَ بِكَ قَبلَ أنْ تبْلُغَهُ ،ولَكِنْ خُذْهُ مع الأيَّامِ واللَّيالِي، ولا تأْخُذِ العِلمَ جُمْلةً، فَإنَّ منْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذهبَ عنْهُ جملةً ، ولكن الشَّيْءُ بعْدَ الشَّيء مع اللَّيالِي والأيَّام)[١].

- هنا أسلوبُ جمعِ العلم وتحصيله ، وهو أن يؤخذ ببطء وترسل ، وليس باستعجال وتوثب، كقطع الأودية ، ولكن يعادُ ويراجعُ مع طول الأيام والليالي، وتدارس المسائل ، تكرر الفؤائد ، وترسخ الفصول ، هونًا وهونا ، بحيث لا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٤٣١ .

تمـلُّ الـنفس ، ولا تتضـايقُ فطرتهـا، وتسـتقبله اسـتقبالَ المنشرحين الوعاة...

- فالعلمُ لا يُجنَى بالقوة ، ولا يكتسبُ بالعجلة ، ولا الصعودُ السريع، بل يكونُ صعودًا رفيقًا ، وطلوعا رقيقًا ، يحببُ العلوم، ويرسخ الأدلة ، ويوثق الدقائق والفرائد .. وحينها يكون للدرس أثرهُ ، وللكتب فوائدها... ولذلك استحبَ العلماء تكرارَ الكتب، والصبرَ طيلةَ الأيام، ورفضوا الظهورَ المبكر، والتصدرَ السريع ، وبروزَ التلاميذ اليانع...
- فالوقتُ لم يَحِن، والساعة لم تحضر، حتى ينضجَ العقل، ويصفوَ القلب، وتطيبَ الغراس..! وهذا يتطلبُ دهرا طويلا، ورسوخًا مديدا ، وزمنًا غائصا...! وهنا درس

للطلاب المستعجلين تدريسًا وتأليفًا ، أن لا يعتقدوا سهولة العمل دون علم واكتمال، ودون تأهل وتحصيل..! ولذلك من حاول العلمَ جملةً فاته جملة ، وسئم الطريق ، وهان التمكن ، والله المستعان .

- فالعلمُ حديثٌ وحديثان، ومسألة ومسألتان ، تتضاعف مع مرور الأيام، وطول السنين ، وليس بالجملة والسرعة، كاللقمة، والنهبة ..! والله الموفق .



٢٠/ خطورة الفتيا العلمية:

قال الإمامُ عبدُ الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله

(٨٣)هـ: (أدْرَكْتُ في هذا المسجدِ مِئَة وعشرينَ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلّمَ ما أحدٌ يُسألُ عن حديثٍ أو فتوى ، إلاّ وَدَّ أنَّ أخاهُ كفاهُ ذلكَ، ثمَّ قدْ آلَ الأمرُ إلَى إقدامِ أقوامٍ يَدَّعون العلمَ اليومَ، يُقْدِمُونَ على الجَوابِ في مسائلَ لوْ عُرِضَت لعمرَ بنِ الخطّاب رضي اللهُ عنه لَجَمَعَ أهلَ بدْرٍ وَاستشارَهُم)[١].



(١) شرح السنة للبغوي:١/ ٣٠٥

- الفتيا خطيرةٌ وهي توقيعٌ على الله ، وهذا سببُ تهيبها من الأتقياء ، فقِهوا عاقبتَها فودُّوا من كفاهم عنها، وتدافعوها درءاً للحرج، وإيثارا للسلامة..! وسلامة العالم والتلميذ في حفظ اللسان، وصون الجنان ، وتقوى الملك العلام، فلا توقيعَ ولا تحليل ولا تحريم، لا سيما وأنتَ منقوص العبارة، متردد الحكم، تخاف الجزم، والوقيعة في الخلل...
- وكم من خللٍ وآثام اجتاحت مندفعي الكلام، وسريعي التقول، مظهري الفائدة ، والذين لم يحسبوا للعلم حسابه، ولا الفتوى سياجها وحريمها.. وقد كان السلفُ -وهم أهلُ العلم الحقيقي ، ومعاصرو التنزيل - ، أشدَّ تحريًا، وأعظمَ تخوفا من التوقيع على الباري تعالى بغير علم.. قال تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) [الأعراف:٣٣] .

- بخلاف من جاء بعد القرون المفضلة ، تداعوا للفتوى، واستعجلوا البروز، لا سيما عصورنا المتأخرة ، حتى فشا الجهلُ ، وعظُمَ الخطب، وظهرَ المتعالمون ، وصار الناسُ في حيص بيصَ، من جراء الجرأة في العلم، واقتحام سياج عظمته، وعدم الخوف من تبعاته، والله المستعان .

- ومن تعظيمِ الأسلاف للفتيا وشدتها ، أنّ عمر رضي الله عنه يجمعُ لعظائم الامور أهل بدر الفضلاء، ولا يستعجل الجوابَ ولا الإبداء ولا التوقيع السريع ، لعلمه بقصور الفرد



عقـلًا وإتقانًـا، فيطمـئن بعقـول الأكثـر ووعـيهم واتفـاقهم ، والسلام .



٢١/ الأثرُ السلوكي للعلم:

قال الحسَن البَصري – رحمه الله(١١٠)هـ : (كان الرجلُ إذا طلَب العِلم لم يلبَثْ أن يُرى ذلكَ في بصَرِه، وتخشُّعه، ولسانه، ويدِه، وصلاته، وزُهده).



- للعلمِ الشَّرعي أثرُه وعائدتُه على أهلِه وحملته، فهو يزكيهم، ويهذبُ أخلاقَهم ، ويقيمُ اعوجاجهم، ويهديهم سواءَ السبيل ... ومن لم يعش هذا المعنى في الحياة العلمية، لم يجنِ ولم يغرس... وكان كما قال الله تعالى :(مثلُ الذين حُمِّلوا التوارةَ ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحملُ أسفارا)



سورة الجمعة . وشبهه كما قال الشاعر : كـالعيسِ في البيـداء يقتلها الظمأ... والموتُ فوق ظهورها محمولُ...

- يعيشُ بـين مباهجِ العلـم ثـم لا يُـرى لـه في ديـن ولا خلـق..! تعسًا لذلك العلم، ولتلك الكتب التي تـزين بهـا، والمسـائل التي حفظهـا ... ولـو أن أهـلَ العلـم صـانوه صـانهم... ولـو عظمـوه في النفـوس لعظمـا... وحـق العلـم عمـل مبـارك، وأخلاقٌ يانعة، وخشـوع بـارز، وأدب جـم...(وإنـك لعلـى خلقٍ عظيم) سورة القلم .

- ولذلك إذا مشى فعليه الوقار، وإذا تحـدثَ طـابَ ولان، وإذا صلّى عُرفت منه صـلاةُ المتقين ، مـؤدَّبُ الجـوارح ، لطيـفُ المعشـر، رقيـقُ الموعظـة ، يتحـدث بالطيـبِ الزكـي مـن



الملافـظ ، ولا يهـذي أو يســب ويشــتم، (فلــيس المــؤمنُ بالطعـانِ ولا اللعـان، ولا الفـاحشُ البـذئ).ويُـرى زاهـدًا ، ليس متطلعـا إلى الـدنيا، ولا منافسًـا عليهـا ، أو خائضـًا مع الخائضين ، بل يأخذها باعتدال، ويتبلغ منها مـا ينفعـه للـدار الآخرة ، والله الموفق .





٢٢/ أجملُ من القمرين:

قال الإمامُ ابنُ القيم رحمه الله (٧٥١)هـ : (لو صُور العلمُ صورةً ؛ لكانت أجملَ من الشمسِ والقمر)[١].



- إذا سماعُه وصوتُه ورائحته أجملُ من كل الحدائق والأمتعة والثـروات، فكيـفَ بصـورتِه وطلتـه ورونقـه... ؟! قطعًـا سيكونُ أبهى من الشمسِ والقمر، وأحلا من غراسِ الحسن، ومن ورد الجمال ، ومن نداوةِ الأفنان... إنه العلمُ الشرعي، والحكمـةُ الرائقـة ، والمنـزل المنيـف، والجـاهُ الفخـم المتلألئ..!

(١) روضة المحبين ص ٣٠١ .

- وتطيبُ الصورة إذا وُضعت على عالمٍ صادق، وتلميذٍ بهيج، وموقفٍ رباني، يزيد الصورةَ صفاءً وحسنًا ، ويمنحها حبًا وألَقًا...! وعندها ستفوق كلَّ الصور، وتتجاوز كل المحاسن ، ويُتحدث بها في المجالس والمحافل ...! إنه العلم قد تبدى للناس ، وخرجَ من خفاياه ، وازدان بعد غيابه الطويل ..
- فإذا حنّيت إلى هذه الصورة، ووبيصِها اللامع، فجدَّ لتكونَ من أهلها ، وأسهم لتحظى من نوالِها ، فلعلك تكونُ مرسومًا رائعًا ، يومًا من الأيام ، فترى الناسُ العالمَ القدوةَ، والشيخ النبيلَ ، والمتحدثَ البارع ، والجدولَ المنساب ،

والسلام ...



٢٣/ عشاق المحابر:

قال أبو بكرٍ البَصري - رحمه الله -: دخلتُ على سهل بن عبدالله التستري ومعي المحبرة، فقال لي: "تكتب؟"، قلت: نعم، قال: (اكتُبْ، فإن استطعتَ أن تلقى اللهَ عز وجل ، ومعك المحبرة فافعل)[١].



- المحبرةُ هي دواةُ الحبر ، وحملُها يعني الكتابةَ وحبَّ العلم، والتعاطي المعرفي، والأنسَ بالفائدة والعائدة الثقافية ، وما طابت الحياةُ إلا بمحبرةٍ وكتاب، وقلمٍ وقرطاس، وكتبٍ ومطالعة ..(اقرأ باسم ربِّك الذي خلق) سورة العلق .

(١) شُعبُ الإيمان - للبيهقي ٣ / ٣٠٧.



- وفيه دليلٌ على أهمية الكتابة، وهي من وسائل العلم وطلبه ، وقد صح قوله عليه الصلاةُ والسلام :(اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ) رجلٌ من اليمن . وحديث : (قيِّدُوا العِلمَ بالكِتابِ) أي اضْبُطوه واحْفَظوه عن الضَّياعِ، "بالكِتابِ"، أي: بكِتابَتِه؛ لأن الذاكرة لا تحيط بكل شيءٍ ، وقال لعبد الله بن عمرو : (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا) .

- وفي المحبرةِ : تقييدٌ للعلم وضبطٌ للمحفوظ ، وحفظٌ للفهوم، وتصنيفات الكتب ، وصياغة عقول الناس وأذكيائهم ، وصيانتها من الضياع ، فيا للهِ كم قُيدت من المصادر ، وكم حُفظت من الدواوين والأسفار ، فتناقلها

النـاسُ ، وحفظهـا الطـلابُ، ويسـرت السـبل، وقاربـت بـين البلدان والأفهام ، والسلام .



٢٤/ من آفات العلم :

قال الإمامُ الزهري رحمه الله تعالى(١٢٤)هـ : (إنّما يُذْهِبُ العِلمَ النّسيانُ، وَتَركُ المذَاكَرةِ).



- العلمُ يحيا ويرسخُ بالمذاكرة ، ويثبتُ بالتدريس والمراجعة، وتركه أو هجره يورث النسيان ، ولذلك استفاض قول الحكماء إنما يذهب العلمَ النسيان وترك المراجعة ، ولذلك وجبت مراجعة العلم وتدريسه والكتابة فيه ، وهو ما يسمى بزكاة العلم والقيام بحقه ..
- وإنما يقع النسيانُ من جراء الإهمال ، والانغماس في الشهوات ، وترك القراءة والتجدد العلمي، والانشغال عنه، وعدم تدريسه والدعوة اليه ، وأجلُّ آفاته النسيان وهي

أخطرها ، لما فيها من الاندراسِ وذهاب الفائدة ، ونسيان الخير ، والمكوث مع العامة..! لأن الناسي محله الجهال وليس الأعلام ، ومصيره الفشل وليس النجاح ، ونهايته التعاسة وليس الانشراح ..! وقد روي الذم لمن حفظ سورة من القرآن ثم نسيها إهمالًا ، وهو مضعف عند اهل العلم ، ولكنه لا يعفيه من المساءلة والمعاتبة، ...

- ولذلك ما اقبحَ نسيان القرآن لطالب العلم، فإن لم يكن كبيرةٌ كان مصيبةً يؤاخذ عليها ، لا سيما المهملُ المنشغل ...! وقد سئل العلامة ابن عثيمين رحمه الله عن هذه المسألة ، فأجاب :نسيانُ القرآن له سببان : **الأول** : ما تقتضيه الطبيعة . **والثاني** : الإعراضُ عن القرآن ، وعدم المبالاة به .



فالأول : لا يأثم به الإنسانُ ، ولا يعاقبُ عليه ، فقد وقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى بالناس ، ونسي آية ، فلما انصرف ذكَّره بها أبيّ بن كعب رضي اللهُ عنه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (هلا كنت ذكّرتنيها) ، وسمع رسول الله قارئًا يقرأ ، فقال : (يرحم الله فلانًا فقد ذكرني آية كنت أُنسيتها) . وهذا يدل على أن النسيان الذي يكون بمقتضى الطبيعة : ليس فيه لومٌ على الإنسان . أما ما سببه الإعراض ، وعدم المبالاة : فهذا قد يأثم به ، وبعض الناس يكيد له الشيطان ، ويوسوس له أن لا يحفظ القرآن لئلا ينساه ويقع في الإثم ! والله سبحانه وتعالى يقول : (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)



النساء/ ٧٦ ، فليحفظ الإنسان القرآن ؛ لأنه خير ، وليؤمل عدم النسيان ، والله سبحانه عند ظن عبده به . والله تعالى أعلم.



٢٥/ الجهلُ المركبُ :

قال سهل التستري رحمه الله تعالى (٢٨٣)هـ : (مَا عُصِيَ اللهُ تعالى بمعصيةٍ أعظمَ مِن الجَهلِ، قيل: فهل تعرِفُ شيئًا أَشَدَّ مِن الجَهلِ؟ قال: نَعَم، الجهلُ بالجهلِ –الجهل المُرَكَّب–؛ لأنَّ الجهلَ بالجهلِ يَسُدُّ بابَ التَّعَلُّمِ بالكُليَّة، فَمَن ظَنَّ بِنَفْسِهِ العِلْمَ كيف يَتَعلَّم) .



- وهذا قد يزينه اكتفاءٌ معرفي، أو علمٌ منقوص مغلف بالجهل، بحيث يكتفي بتعليم الحياة له ، أو خبرته المحدودة ، أو بعض الشهادات، ويعتقد أنها منتهى العلم ، وغايةُ العقل والفطنة ، فيبدأ يتاجر بها، وينافح عنها عناداً ومفاخرةً، ولا

يرى سواها العلم والتفنن المعرفي..! فيبتلى برزيةِ الجهل المركب، فلا يقبل تصحيحًا أو إضافةً على ما عنده ...

- ويبتلى بالإيغال في ذلك حتى ينافحَ عن جهالات، ويشيد بضلالات، معتقد أنها لونٌ من العلم، أو ضربٌ من التفوق المعرفي ..! وهذا يستعسر إفهامه أو محاورته ، لأنه متكلف للعلم، متفاخرٌ بالجهالة فيه، والله المستعان . ومن هنا وقع في الجهلِ المركب والخرافة المتراكمة ...
- ولذلك يفرقونَ بين الجهل البسيط والجهل المركّب أن صاحب الجهل البسيط يعلم أنه جاهل، ولا يدعي العلم، بخلاف صاحب الجهل المركّب فإنه مع جهله يظن أنه عالم، فجهله مركّب من جهلين: الجهل بالشيء، والجهل



بأنه جاهل به، وادعاء العلم والفهم مطلقًا ، وهو ما عناه الشاعر بقوله : وإنّ عناءً أنْ تفهمَ جاهلًا... ويحسبُ جهلًا أنه منك أفهمُ... وأنشدوا في ذلك أيضا:

قال حمار الحكيم توما ** لو أنصفوني لكنت أركبْ

لأنني جاهلٌ بسيط ** وصاحبي جاهل مركبْ

- وينشأ الجهلُ المركب من الغرور العلمي ، والعنادِ الذاتي ، ورفض الاستزادة ، وحبِّ الظهور ، والعيش بخبراتٍ محدودة، واعتقاد الصواب على حال، وادعاء الفطنة العلمية على الدوام، وفساد المصادر، وتصحيفات الكتب، واغاليط الناس .. والسلام .



٢٦/ مجافاةُ العوام :

قال الحافظ الخطيب البغدادي، صاحب التاريخ والجامع – رحمه الله (٤٦٣)هـ : (ينبغي لطالبِ العلم أن يتميزَ في عامةِ أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أمكنه ، وتوظيف السنة على نفسه ؛ فإن الله – سبحانه وتعالى– يقول : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} الأحزاب : ٢١)[١].



- طالبُ العلمِ من الخاصة الذين خصَّهم اللهُ بالعلم، وتفضل عليهم بمعارفَ مختلفة، ولذلك شخصيتُه راقيةٌ، وأخلاقُه عالية ، لا يشابه فيها العوام شكلًا وجهالة وسماجة ، فيوقر

---

[١] الجامع للخطيب (١٤٢).



العلم، ويحمل سماتِ أهله ، ويرتدي خصالَهم ، ويهجرُ طرائقَ العوام وعاداتِهم وسماتهم ..

- والسببُ أنَّ العلمَ صناعةٌ وصياغة ، وترتيب وتهذيب، يزكي النفسَ، ويربي الجسد، ويصنع الخلق ، ويرتقي بالفكر، ومن لم يغيره العلمُ فلا خير فيه..! قال تعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) سورة البقرة .

- وأول واجباتِ الخصوصية توظيف الآثارِ النبوية على نفسه والتخلقُ بها وحملانها في كل مكان ، والافتخار بها، والمبادرة ح سنته عملا وتعظيمًا وتطبيقا . وكل ما ارشد إلى سنة جديدة، او خصلة مبرورة تبادر اليها ، وسارع في



امتثالها، لان العلم سنن ومأثورات ، وحفاوة وتطبيقات ، والله يقول :(لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة) .

- ولن يدخلَ أحدٌ الجنةَ إلا من بوابة رسول الله عليه الصلاةُ والسلام:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سورة آل عمران. وهذا يعني حُسنَ العمل، وصدقَ الاتباع ، وتعظيمَ الشرائع ، ومحبةَ السننِ ، والمسارعةَ في الخيرات ، والسلام .





٢٧/ حفاظ الأصل:

قال الإمامُ الشَّافعيُّ رحمه الله (٢٠٤)هـ: (إذا رأيتُ رجُلًا مِن أصحاب الحديث، فكأني رأيتُ رجلًا مِن أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، جزاهم اللهُ خيرًا؛ فهم حفِظوا لنا الأصلَ، فلهم علينا فضلٌ)[١].

- المحدِّثونَ حفاظُ الشريعة والسنة ، لهم فضلٌ على سائرِ أهلِ العلــومِ والتخصصـــات ، يعترفــون بفضــلهم ، ويَــدينون لجهدهم ، ومن هؤلاء الشافعي رحمه الله يشبههم بصحابة رسول الله علمًا ومحبةً وايثارا للسنة والحديث ، ويعتبرهم حفاظ الأصل والدين ، وحملة النص والبراهين . ولا يتكمن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٩ .

الفقيهُ من العلم حتى يسألهم ويتأكدَّ من النص وصحته وسلامته من العلل..

- ومن هنا وجبتْ محبتُهم ، وسطَع فضلُهم على سائرِ العلوم والفنون ، فقد ضبطوا السنن، ورحلوا لأجلها ، وحققوها ، وصانوا مروياتِها ، وكشفوا عنها الزيفَ والدخيل، فمن يضاهي فضلَ المحدثين ، أو يوازي جهدهم رحمهم الله..

وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله : (إذا رأيتَ الرجل يحب أهل الحديث فإنه على السنة ، ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: (لو لم يكن لصاحب الحديث فائدةٌ إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه يصلي عليه ما دام في الكتاب) . و قال الزعفراني

رحمه الله من أكابر أصحاب الشافعي: (ما على وجه الأرض قومٌ أفضل من أصحاب الحديث ، يتبعون آثارَ النبي صلى الله عليه وسلم) .

- وليس شرطا أن يكونوا فقهاء مستنبطين، يكفي لنا جهدهم في الحفظ والضبط والرحلة الحديثية ومتاعبها، إلا من استطاع منهم الجمع بين السنة وفقهها كالإمام احمد والبُخَارِي وأبي داود وابن خزيمة ومالك وأمثالهم من الحفاظ المدققين ، رحم الله الجميع .



٢٨/ صفةُ الشيخ المختار:

قال ابنُ جَماعة رحمه الله (٧٣٣)هـ : (فينبغي أن يختارَ الأعلم، والأورعَ ، والأسنَّ ، كما اختار أبو حنيفةَ – رحمه الله – حماد بن سليمان – رحمه الله – بعد التأمل والتفكر . وقال: وجدتُه شيخًا وقوراً ، حليمًا صبوراً . وقال : ثبتُّ عند حمادِ بن سليمان فنَبَتُّ)[١]



- ليس كلُّ من درَّس أو تمشيخ صح أخذُ العلم منه ، بل لابد هنالك من مراعاةِ الأهلية العلمية، والمكانة الحقيقية له، ومن ذلك تمكنه في تخصصه ، وأن يكون أعلم أهلِ زمانه في

(١) " تعليم المتعلم " (ص١٢) .

ذلك الفن، بحيث إذا جالسته استفدت منه، وحصلت حصيلةً متقنة ، يرحل لأمثالها .

- ومن صفات الشيخ علو سنه في العلم بعيث يكونُ ناضجا قد شاب مفرقُه في التحصيل والجمع ، ولا يؤخذُ العلم عن الأحداث الأصاغر ، لقلة الخبرة ، وقلة التدريس العلمي .
- وكذلك : ليكن الأورع دينًا وتقوى ورعاية للحرمة، معظما للشريعة ، متباعدًا عن الأخلاق الرضيعة ، يعرف قدر العلم، ويصون شروطه وآدابه ، وفي الحديث الصحيح :(فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورع) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى :

"وأما الورع فإنه الإمساكُ عما قد يضر، فتدخلُ فيه

المحرمات، والشبهات، لأنها قد تضر، فإن من اتقى الشبهات استبرأ لدينِه وعرضِه، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى، يوشك أن يواقعه".

- ومن ثبتَ عند الشيخ الوقور العليم ، والتزم نهجه ودرسه نبت نباتًا حسنًا ، كما حصل لأبي حنيفة رحمه الله مع شيخه حماد بن سليمان ، صدق معه ففتح الله عليه ، والله الموفق .



٢٩/ خلاصة العلم النافع:

قَالَ الإمامُ الذّهَبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى (٧٤٨)هـ: (تَدْرِي مَا العِلْمُ النَّافِعُ؟ هوَ ما نزلَ بهِ القُرآن، وَفَسَّرَه الرَّسُولُ صلّى الله عليه وآلِهِ وَسَلّم قَوْلاً وَعَمَلاً، وَلمْ يأتِ نَهْيٌ عنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلام: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فليْسَ مِنِّي » فَعَلَيْكَ يا أخِي بتدَبُّرِ كِتَابَ اللهِ وبإدمَانِ النَّظَرِ فِي الصَّحِيحَين وَسُنَنِ النَّسَائِي.

(وَرِياضِ النّوَاوِي وَأذْكَارِهِ، تُفلِحُ وَتَنْجَح)[١]



- كلنا ينشدُ العلمَ النافع، ولكن العلومَ كثيرةٌ، والمعارفَ وسيعةٌ، وقد اختصرها المحققون رحمهم الله في **"محكمِ**

---

[١] السير ١٩/ ٤٣٠.

القرآن" ، و" الموروث النبوي" عن رسول الله عليه الصلاة والسلام تفسيرًا وتبيينًا، ونصحا وتوجيهًا، فأقبل على القرآن تلاوةً وحفظا، وفهمًا وتدبرا، وعملًا ، وانتهاجًا...

- فالوحيان هم العلمُ الحقيقي ، والفائدةُ المرجوة ، والغراس المباركة ، والتي تزكي الطالب، وتنفعُ الخاصة والعامة. ومن أحسنِ تفاسير القرآن تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، ولا ارتيابَ أن تكراره عدة مرات ، مورثٌ للعلمِ ، وللأحكام وفقهها تفسير القرطبي أو ابن العربي، وإدمانها كثيرًا كثيرا .
- ثم إدمان النظر في الصحيحين وتفهم معانيها، والعبرة بمسلسلها ومشكلاتها ، فهما أصحُّ الكتب بعد القرآن ،



وأفضل شروحها "الفتحُ والمنهاج" ، ومن علق عليها كابن العثيمين والخضير وأشباههم.

- ولا تغفلْ عن سنن النسائي رحمه الله ، ففيه فرائدُ وعلل، وصناعة ومتعة، وزوائد وحكمة، فطالعه من حين لآخر .
- وللتزكيةِ الروحية والتربية السلوكية رياضُ النووي وأذكاره، فهما خيرُ ما كُتب في هذا الباب حُسناً وزكاةً ونوالاً ، فتحفظها واعتنِ بها، فهما أطيبُ من الماء البارد، وأصفى من الماء الزلال ، رحم الله الإمام النووي وجزاه الله عن العلم والإسلام خير الجزاء .





٣٠/ آثارُ العلماءِ :

قال الحافظ أبو بكر الآجري - رحمه الله (٣٦٠)هـ -: (العلماءُ سِراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمَّة، وينابيع الحِكمة، بهم تحيَا قلوبُ أهل الحق، وتموتُ قلوب أهل الزيغ، حياتُهم غنيمةٌ، وموتهم مصيبةٌ، يُذكِّرون الغافل، ويُعلِّمون الجاهل، وبجميل موعظتِهم يرجِع المُقصِّرون، جميع الخَلْق إلى عِلمهم محتاجٌ، مَن أطاعهم رشَد، ومَن عصاهم ضلَّ، مَثَلهم في الأرض كمَثَل النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلماتِ البَرِّ والبحر، إذا انطمسَتِ النجومُ تحيَّروا)[1].



---

(١) (أخلاق العلماء - أبو بكر الآجري - صـ ١٧: ١٦).

- هذه الحقيقةُ الساطعة من صفاتِ العلماء وآثارهم ، وحُسنِ بلائهم في الخلائق ، فهم سراجُ العباد، ومنارُ البلاد، بهم النورُ والعدة، والضياء والمنَعة، والهدى والردى .

- وهم قوامُ الأمة وينابيعُ الحكمة: فلا تصلحُ أمةٌ بلا علماء ، ولا تعزُّ بلا فقهاء ، يحفظونَ مجدَها ، ويحمون إرثها ، ويبثون فيها حكمةً وعلمًا ، وفائدةً ورشدا . بهم تحيا قلوب أهلِ الإيمان، وتشقى قلوبُ أهل الطغيان ، حياتُهم غنيمة، وهلاكهم مصيبة...

- كلامهم مواعظُ للغافلين ، وتنبيهٌ للجاهلين، وتثبيتٌ للصالحين، لأنه منتزعٌ من هديِ الكتاب والسنة، وأقوال السلف الكرام .. وفي جميل وعظهم نفع وهدايةٌ وتأثير ..!



وفي طاعتهم طاعةٌ لله ما اتقوا ونصحوا ، وكانوا بآياتِ الله يوقنون .

- وهم مصابيحُ الأرض ، كالنجومِ للسماء ، بها النور والهداية والرشاد، ينتفع بها الناس، وتهتدي الخلائق ، ولولاهم ما عُرف الدينُ ولا الحق ، ولا بانت الحجج ولا البراهين . ولا يحتارُ الناسُ إلا بغيبتهم ووفاتهم ، ولذلك كان وفاتهم مصيبة على الأمة ، وثُلمةً في الإسلام ، والله المستعان .



٣١/ فضلُ الإنصاف :

قال العلامةُ الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠)هـ : (فإذا وطَّنتَ نفسك أيها الطالبُ على الإنصاف ، وعدم التعصب لمذهبٍ من المذاهب ، ولا لعالمٍ من العلماءِ ، بل جعلتَ الناس جميعًا بمنزلةٍ واحدةٍ ، في كونهم منتمين إلى الشريعةِ محكومًا عليهم بما لايجدوا لأنفسهم عنها مخرجًا ولا يستطيعون تحولاً فضلاً عن أن يرتقوا إلى ماهو فوق ذلك من كونه يجبُ على أحد من الأمة العمل على رأي واحدٍ منهم أو يلزمه تقليده وقبول قوله؛ فقد فزتَ بأعظم فوائد العلم وربحت أنفس فرائده)[1].



---

[1] أدب الطلب ومنتهى الأَرَب ص: ٧٥ .

- من أجلِّ صفاتِ طالب العلمِ توطينُ النفس على الإنصاف والعدل مع الخصوم ، في المسائل والاجتهادات والتعقبات، فلا قداسةَ لمذهبٍ أو شيخ أو طريقة أو كتاب على حساب دليلٍ أو نص ثابت، أو إجماع منقول ..! والعصمة إنما هي للدليلِ الشرعي وليس للعالمِ الفقيه، لأنه بشرٌ يصيب ويخطئ ، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب القبر الأعظم عليه الصلاة والسلام...!
- وهذا أنفسُ فوائد العلم : الإنصاف والتجرد للحق ، وعدم المحاباة لأي كائن من كان ، لأنَّ المجاملة العلمية تعصبٌ، ونأي عن الحق ، وإفسادٌ للمسار والاجتهاد ، وفي القرآن: (فلا تَتبعِ الهوى فيُضِلَّك عن سبيل الله) سورة ص . وإذا

رُبّي الطالب على ذلك سلم له دينه، وطابَ مشربه ، وحسُنت صفاته، وبورك له في علمه .

- ولن يكونَ عالماً بحق حتى يتجردَ للعلم، وينبذَ الهوى ، ويعيشَ للدليل ، ويقفو نهج الأئمة قبلنا، بالرشف من بحرِ الكتاب والسنة، وليس لجة التقليد والتعصب ، وكما قال الإمامُ أحمد رحمه الله: (لا تقلِّدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا). وموضعُ أخذهم الوحي ، وليس كتب المذهب المبجلة، ولا عمدة الأشياخ ، أو متن الطلاب المكرر، والله المستعان .

- ومـا أجمـلَ أن يقـرأ الفقهـاء في كتـب مخـالفيهم ويتلقوهـا بالتبجيـل دون تعصب لمدرسـة فقهيـة على أخـرى ، ولكـن ينشدون الحق ، ويتعرفـون على أقـوال مخـالفيهم ، لا سـيما وأن بعـض الكتـب المذهبيـة تـنقصُ الآخـرين قـدرهم أو أدلتهم، وحاكمُنا جميعا الكتَابُ والسنة، وحسن الاستدلال بهما، والسلام .



٣٢/ مفاتيح العلم :

قال الإمامُ الزهري رحمه الله تعالى (١٢٤)هـ : (العلم خزائن ، وتفتحها المسألة)[١].



- العلمُ كالجواهر المخزونة ، والكنوز المكنونة، ولها مفاتيح في الحياة كالحضور والقراءة ، وجمع الكتب، والبحث والاستخراج ، ومنها "الأسئلة للعلماء" ومجالسة الشيوخ واستخراج ما في عقولهم من نباهة وفهم ، وذكاء وحصافة، وفي القرآن مشروعيةُ السؤال وتحبيبه..(ويسألونك..) (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) سورة النحل والأنبياء.

---

(١) الآداب الشرعية ١٢٠/ ٢

- ولكنَّ هذا السؤالَ لها آدابه وأخلاقه ، كالتلطف بالشيخ، وملاحظة الوقت المناسب كآخر الدرس، وعدم مقاطعته، وترك الجدال والدعاء له أولًا وآخرا، كقول: أحسنَ الله إليك ..! وشبهها، وعدم مصادمة رأيه، أو استجلاب آراء الآخرين بفجاجة ، وتوقير العلماء عمومًا.. وقال ابن جريج رحمه الله : لم أَسْتَخْرِجِ العِلْمَ الذي اسْتَخْرَجْتُ مِن عَطَاء إلاّ بِرِفْقِي بِهِ .
- ولا تكن مكثارا في الأسئلة ملحاحًا، إلا أن يأذنَ هو ويعجبه ذلك ، وأن لا تستفردَ عن بقية الطلاب ، فلهم أسئلة وأمانٍ... وأن يسأل عما يحتاجه ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله عن العِلم وتحصيلِه : فمن الناس من يُحْرَمه لعدم

حُسْنِ سؤالِه ، أما لأنه لا يسأَلُ بِحَال ، أو يسأَلُ عن شيء وغيرُه أهمُّ إليه منه ، كمن يسأَلُ عن فُضُولِه التي لا يَضرُّ جهلُه بها ، ويَدعُ ما لا غِنى له عن معرفتِه ، وهذه حالُ كثيرِ من الْجُهّال المتعلِّمين ، ومِن الناس من يُحْرَمه لِسُوءِ إنْصَاتِه، فيكونُ الكلامُ والمماراةُ آثَرَ عنده وأحَبَّ إليه مِن الإنصات ، وهذه آفةٌ كَامِنةٌ في أكثرِ النفوسِ الطَّالِبةِ للعِلْمِ ، وهي تمنَعُهُم عِلْمًا كَثيرا ، ولو كان حَسَنَ الفهم . اهـ . والسلام .



٣٣/ حجابا العلم:

قال مجاهد بن جبر المكي رحمه الله تعالى (١٠٤)هـ : (لَا يَتَعلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحٍ ولَا مُسْتكبرٌ).



- العلمُ كالحدائقِ المؤنسة ، ولكن بعضَنا قد يزهد في هذه الحدائق حياءً أو تكبرًا ، فيترك العلم، وينشغل بدنياه، ويمنعه الحياء المذموم من تلقي العلم وشم أفانينه ، حتى لا يُنتقدَ في سؤاله أو يُسخرَ منه، أو يظهر شيئا من جعله ، أو يقال: ما كنت هكذا .. ولَمَ تغيرت ... أو غادرت مجالسنا... فلا يزال يتهيب نقدَ الآخرين ، حتى يدعَ العلم، ويهجر حدائقه ومباهجه ، فيحرمَ خيراتٍ نادرة، ونفائسَ باهرة...

- **والصنف الآخر** : المتكبر ، حيث يمنعه كبره من التواضع ، والحضور من الناس، وأن تظهرَ منه جهالةٌ، أو حاجة تدل على نقصه، فيدفع ذلك بهجر العلوم، وترك الفهوم، والإصغاء للشيطان وخطواته فيطول به الزمان وما تعلم شيئا من أصول دينه، ويكتفي بخرافات العامة،! ولذلك تلحظُ على الصنفين أغلاطـًا في الطهارة والصلاة، وآداب الإسلام... بل حتى في قراءة القرآن ، فينكشف إذا قُدم ليصليَ بجماعة ما ، وقد كانت حِلقُ القرآن عند بيته ، تُناديه دهرًا طويلًا، فلا يجيبها، ولا تنتفض لها همته...
- **والواجب الشرعي والعقلي** تركُ الحياء والكبر، والإقدام بشجاعة على العلمِ طلبه، والسعي في جمعه وتزكية النفس .



وقالت عائشة رضي الله عنها : (نعمَ النساءُ نساء الأنصار لـم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) . وعـن أم سـلمة رضـي الله عنها قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالـت يـا رسـول الله : إن الله لا يسـتحيي مـن الحـق فهل على المرأة مـن غسـل إذا احتلمـت قـال النبـي صـلى الله عليه وسلم " إذا رأت الماء " فغطت أم سلمة تعني وجههـا وقالت يا رسول الله وتحتلم المرأة قـال : نعـم تربـت يمينـك ففيم يشبهها ولدها). والله الموفق .



٣٤/ التبكيرُ العلمي:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل – رحمهم الله – (٢٤١)هـ :

سمعتُ أبي يقول : (كنت ربما أردت البكور إلى الحديث ، فتأخذ أمي ثيابي وتقول : حتى يؤذنَ الناس ، حتى يصبحوا ، وكنت ربما بكرت إلى مجلس أبي بكر ابن عيّاش وغيره)[١].

- التبكيرُ العلمي علامةُ النباهة وعلوُّ الهمة، وطريقُ الإنجاز، لا سيما مع أول النهار ، وبعد صلاة الفجر، حسب النشاط الجسمي والعقلي، والاستعداد الذهني للحفظ والاستيعاب ، وكان هكذا أئمتنا وتربية أهليهم لهم، كما صنعت والدة

[١] الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع ١/ ١٥١ .

الإمـام أحمـد رحمـه الله..! وأمـا تبديـد ذلـك في النـوم الـى منتصـف النهـار ، وقـد يُبتلـى بـه بعـض التلاميـذ فعلامـةُ الحرمـان، وإذهـاب البركـة، وضـياع السـاعات، ولا يرتضـيه أربابُ الهمم والعزمات ..

- وهنا يأتي فضلُ البيتِ المسلم ويقظةُ أهله ، وحرصُهم على آداب أبنـائهم وتنشـئتهم التنشـئةَ الحسـنة ، المدبجـة بالهمـة والحـرص، واسـتثمار السـاعات ، وإعـلاء شـأن العلـم في نفوسهم ، بحيث يشبّون وقد تعلموا قيمًا مباركة ، وأخلاقًا فاضلة ، وشمائلَ طيبة .
- والبكورُ للعلـم بكـور في كـل شـؤون الحيـاة ، فـإنَّ مـن اعتـاد قضـاءَ الأمـور سـريعًا وفي أول اليـوم، وُفِّـق في حياتـه، ونالتـه

البركةُ، وأنجز وتجاوز كثيرين من زمرته، وقد صح حديث (بارك الله لأمتي في بكورها). قال: وكان عليه الصلاةُ والسلام إذا بعث سريةً أو جيشا ، بعثهم أول النهار . وكان صخر رجلًا تاجراً ، وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار ، فأثرى وكثر ماله . رواه أبو داود والترمذي . ونقل ابن القيم رحمه اللهُ عن بعض الآثار، كما في كتاب " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" : أن أوقات أهل الجنة: كوقت الإسفار، وهو الوقت من انتشار النور، حتى قبيل طلوع الشمس. فهذا الوقت يذكر بالبقاء والدوام في الجنة، وهذا يوجب علينا أن نشهده دائما، فلو قيل: إن في المكان الفلاني ثمرًا من ثمار الجنة، أو بيتا من بيوت الجنة، فنحن نتسابق للنظر إليه،



لا سيما وليس فيها شمسٌ ولا زمهرير، فشهوده يسلي المؤمن، ويذهب عنه الحزن، ويرجيه في دخول الجنة .

- وساعاتُ أولِ النهار أطيبُ للعلم وأزينُ للحفظ ، وأقربُ للسعادة والانشراح ، ولكنها لا تَطيب إلا للجاد المبكر، الهاجر للسهر، والصادق في الطلب، والمثابر في الالتماس وأما المبتلونَ بالسهر هذه الأيام ، فيُحرمون بركةَ الصبحِ الجميل، ونداوتِه الحالية الصافية .. والله الموفق والمعين .



٣٥/ القراءةُ النافعة:

قال الأديبُ عباس العقاد رحمه الله تعالى (١٩٦٤)م : (اقرأ كتابًا جيداً ثلاثَ مراتٍ، أنفعَ لك مِن أن تقرأ ثلاثةَ كتبٍ جديدةٍ).



- القراءةُ النافعة ما اكتملَ معها التركيزُ ، أو أعيد فيها الكتابُ مرارا ، وهذا مسلكٌ علمي يندرجُ تحتَ وسيلةٍ تكرار الكتاب والحرص على استيعابها ، لأن القراءة الأولى لا تجدي في كتاب ، كثُرت فوائده ، وطالت صفحاته، أو كانت مادته ثقيلة تحتاج مزيد تركيز واستيعاب ، فالقراءة المكررة أجدى وأنفع وأبقى من القراءة السريعة لمرةٍ واحدة ...!



- ولذلك يعز فهمُ بعض العلوم والأسفار ، بسبب قراءة واحدة أو مختزلة ، أو ذاتِ عوار، خالية من التكرار والتركيز ... لأنه لا يمكن الاستيعاب من مرة واحدة في الغالب... نعم قد ينفع مع بعض الناس ولكنهم قلة نادرة...

- والأصلُ أن الطلابَ يكررون الكتب ، ولا يستعجلون فهمها أو إتقانها للوهلة الأولى ، والنظرات الأولية ، وهذا شكلٌ من الحد العالي والاهتمام البالغ ، وقد ضرب السلف قبلنا والعلماء السابقون صورًا من التكرار المتفاني في هضم الكتب وضبطها والعكوف عليها شهورًا وأعوامًا، وبهذا يتم النبوغ والرسوخ العلمي، وتنقشع كل معوقات الفهمِ..!

- ومن النماذج هنا : ما رَوَى الخَطِيبُ البَغْدِاديِّ في الجَامع عَنْ عَلقَمةَ قَالَ : " اطِيلُوا ذِكرَ الحَديثِ لا يَدْرُس " . وقال عَبَّاسُ الدُّورِيُّ: سمعتُ يحيى بنَ مَعِينٍ يقولُ: " لَو لم نَكتُب (وفي لفظٍ: نَسْمَع) الحَديثَ خمسينَ مَرَّةً مَا عَرَفنَاه". وعن بعضهم : أنَّه سَمِعَ أبَا بكر بنِ عّطِيَّةَ يَذكُرُ أنَّهُ كَرَّرَ صَحِيحَ البُخَاريِّ سَبعَ مِائةِ مَرَّةٍ ". وجَاءَ عن بكر بنِ محمدِ بن أبي الفَضْلِ الأنْصَاريِّ : أنَّه رُبما كَانَ في ابتداءِ طَلَبِهِ يُكرِّرُ المسْألةَ أربعَ مائة مَرَّةٍ . وسُئِلَ يومـًا عن مسألةٍ غريبةٍ فَقَالَ : كَرَّرتُ هَذهِ المسْألةَ لَيلةً في بُرجٍ من حِصْنِ بُخَارَى أربَعَ مائة مرة . وُنقِلَ عن ابنِ هِشَامٍ النحوي رحمه الله: أَنَّهُ قَرأَ الألفِيَّةَ ألفَ مَرَّةٍ . وأيضا معاصرون عرفوا بذلك كالشيخ ابن باز

وبكر أبو زيد ، ومحمود شاكر، وحماد الأنصاري وغيرهم

رحم الله الجميع .. والله الموفق .





٣٦/ أثرُ الإخلاصِ في العلم :

قال العابدُ إبراهيم بن أدهم رحمه الله (١٦٢)هـ : (مَنْ طَلَبَ العِلْمَ خَالِصًا، يَنْفَعُ بِهِ عِبَادَ اللهِ، وَيَنْفَعُ نَفْسَهُ؛ كَانَ الخُمُولُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ، فَذَلِكَ الذِي يَزْدَادُ فِي نَفْسِهِ ذُلاًّ، وَفِي العِبَادَةِ اجْتِهَادًا، وَمِنَ اللهِ خَوْفًا، وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا، لاَ يُبَالِي عَلَى مَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا)[١].

- فضلُ الإخلاص في العلم لا يكاد توصفُ روعتُه، أو تُدرك حلاوتُه، لما يفعله في نفس صاحبه من الإخبات والخشوع وحبِّ الخمول ، بحيث يُطعمه لذاذةَ الإيمان الحقيقي ،

---

(١) شعب الإيمان : ٢/ ٢٨٨ .

وشَـهدَ الخلـق الرطيـب، الـذي يحملـه علـى إيثـار السـلامة، والتخوف من أمانة العلم الزاجرة ...! ولذلك يؤثر الخمـولَ على البروز، والوقار على الشغاب ، والسكون علـى الجـدال والخصومات .

- ويجتهد في عمل نفسه مخلصًـا بكثـرة الطاعـات ، التـي تربـي وتهـذب، وتـذهب غـرور الـنفس وتطاولها ، لا سـيما عبـادة السـر ، وقيـام الليـل الـذي يصـنع في العـالم صـنعه ، ويشـعل جـذوةَ الإخـلاص ، الـذي يجعلـه متهيبـًا عظمـة العلـم، ومـا أودعه الله فيه من مخاطر وتبعات (إنما يخشى اللهَ مـن عبـادِهِ العلماء) سورة فاطر .



- ولا يـزال خوفـه مـن اللهِ قائمـا ، وخشـيته حاضـره ، وترقبـه مهيبا ، من جراء علمٍ تحمله ، أو قرآن حفظه، أو أمانةٍ كُلِّف بها ، أو فتـاوى يـزل بها ، أو يقصـر في شـأنها ... ومع ذلك فشوقه إلى شديد من حيث إيمانـه العميـق، وإخلاصـه لربـه، واتباعه الهدي، واستنارته بالوحي...
- وإذا بدا في الناس تواضع ولانَ، بحيث لا يتكبر عليهم، ولا يستعلي بعلمه ، أو يتفاخر بمنطقه ويغلظ قوله، بل تلقاه ودودًا رحيما، واخـًا رفيقًا ، ولا يُظهر فضله عليهم ، كما قال اللهُ: (يمشون على الأرض هونا) سورة الفرقان .
- وازدان بإخلاصه لله، أن زهده في الدنيا، فما بـالى بما أصبحَ وأمسى أو جمعَ أو فاته منها، فلم تعد الدنيا أكبر همه، ولا



مبلغَ علمه، لأنه وطَّن نفسه على الإخلاص التام، والصدق المخبت، والخضوع لشريعة الله، ومن ضيّع الإخلاصَ ، ولم يحرص على تحقيقه ، فاتته بركاتُ العلم وغراسه الحسنة .. والله الموفق .





٣٧/ العلم السديدُ المنتفع به:

قال ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه (٣٢)هـ : (لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ).



- الأقوالُ المجردةُ من الأعمال لا تغني عن طالب العلم شيئًا ، لا سيما إذا غلبت عليه وعُرف بها ، دون سلوك ومباشرة ، كما قال تعالى : (أتأمرون الناسَ بالبر وتنسون أنفسكم ، أفلا تعقلون) سورة البقرة . فمنتهى العقل والشرع قولٌ مقرونٌ بعمل ، وملافظ لها مسالك وتطبيقات . وذلك العملُ يحتاج إلى نية صالحةٍ طيبة، تبتغي مرضاة اللهِ ، وليس مجدًا أو حظًا وشهرة ..



- وهـذا يتطلـبُ منـا إحسـانَ النيـة ، وتصـحيحَ الطويـة، وفي الحديث الغريبِ الفرد : (إنما الأعمالُ بالنية) فكلُّ عمل بـلا نية لا صـحة لـه ولا اعتبـار، إذ النيـة تصـوبه وتثيبه ، وحتـى أعمـال الـدنيا إذا صـحت معهـا النيـات ، أعقبـت البركـات والحسنات..!

- وكل ذلك يحتاج إلى منهاج يوافق السنة، ويقتفي الطريقة، فكل قول لابد لـه مـن عمـل ، والعمـلُ إلـى نيـة ، والنيـة إلـى ملامسـة السـنة ، حتـى يُـنهجَ الحـق ، ونصـيبَ السـداد، ونبلغَ الثواب ، وهذا مـن فقـه السـلف ، كمـا في هـذا الرونـق العلمي عن ابن مسعود : وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ.. والسلام .



٣٨: فضلُ العلم على العبادة:

قال الحبرُ عبدالله بن عباسٍ رضي الله عنهما (٦٨)هـ:

(تدارُسُ العلم ساعةً مِن الليل خيرٌ مِن إحيائها).



- لا مقارنةَ بين علمٍ وعبادة ، فالعلمُ أعلا وأجلُّ ، لأنَّ نفعَه متعدٍ، وإشعاعاته فاخرةٌ ، بخلاف العبادة فهي محدودة خاصة بصاحبها ، ومن هنا فضَّله السلفُ كابن عباس والشافعي وغيرهما فيما يُروى، ورجحوه على من تردد بينهما .. والسببُ أن في العلم حياةَ القلب والعقل، وزكاةَ الروح والفهم، ونفعَ النفس والخلق، ودفع الجهل والسخف، ورفع الضر والرزء ..! وهذا قد لا يكون في العبادة سوى الثواب وانشراح النفس . قال القرطبي رحمه

الله: " فلو كان شَيْءٌ أشرف من العلم لأمر الله تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم ".

- وقد يستهين العابدُ بالعلم والفقه فيقع في الغلط والشطط، ويتدين للهِ بجهالة وابتداع وهو لا يشعر، وقد يمكث دهورًا مخطئًا وهو لا يشعر، ولذلك يقال لطالب العلم: تعلم قبل أن تتدين، واحرص على علمٍ يرفعك، لا على عبادة تخذلك، والعابد الجاهل مغلول من الشيطان، وموضع للهوان والتسلط . قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه : (فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ).



- ولا حرج بالسهر أحيانا باعتدال في طلب العلم، إلا إذا خشي ضياع الفجرِ ، ولا يكره في حق من جد وانتفع، ولم يضع فرضًا او واجبا ... قال النوري رحمه الله : " قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، أما ما فيه مصلحةٌ وخير فلا كراهة فيه؛ وذلك كمُدارَسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف، والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجلِ أهلَه وأولادَه للمُلاطَفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحِفظ مَتاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس...".



٣٩/ اختصار شرف العلم:

قال العلامةُ ابن القيم – رحمه الله (٧٥١)هـ – :(ولو لم يكن في العلم إلا القربُ من رب العالمين ، والالتحاق بعالم الملائكة ، وصُحبة الملإ الأعلى ، لكفى به شرفًا وفضلاً ، فكيف وعِزُّ الدنيا والآخرة منوط ٌبه ، مشروطٌ بحصوله)[١].

- لو اختصرنا شرفَ العلم ، لكان كما قال ابن القيم رحمه الله، قرب من الله، والتحاق بعالم الملائكة ، وصحبة الملأ الأعلى ، حيث الثناء الجميل، والصيت الحسن ، والثواب الكبير، ولذلك كان العلماء أولياء اللهِ ، وورثة الأنبياء ، الذين يفقهون شرعه، ويبلغون رسالته .

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٠٨ .

- وأما قربُهم من اللهِ فسببُه علمهم الفسيح، وفقههم التام، الذي يُدنيهم من خالقهم ، ويعرفهم بالطريق إليه ، فيعرفون من حقائق الإيمان ، وروائع اليقين ما لا يعرفه غيرُهم ، وهذا جعلهم أشدَّ الناس خشيةً لله تعالى .
- وكذلك صحبتهم للملائكة بحيثُ ترعاهم وتحضرُ مجالسهم تدريسًا وتبليغا، وتحميهم بعونِ الله وحفظه ، ويُثنى عليهم في الملأ الأعلى . وهذا يحفزُ العقلاء إلى اهتباله والمسارعة فيه، بحيث لا تفوتهم الفرص، أو تتلاشى النوافذ...
- وهو شرفٌ حافز ، ومجدٌ باهر يستدعي كلَّ ذي لب وهمة، ومع ذلك ، فشرف الدنيا والآخرة منوط به ، فقد رفع اللهُ



مَنزلتـه، وأعـلا كلمـة أهلـه ، وصـان مقـدارهم ، وتشـوف العظماء إليهم، وزاحمهم الأغنياء ، وضاقَ منهم الوجهاء ، لما يلحظون فيهم من مجدٍ لا يشترى ، وقبول لا يضاهى ، وقـوةٍ لا تكـاد تختـرق عنـد ذوي الإخـلاص منهم ... فمن عاش للعلم مخلصًا ، وتنزه عن الدنيا رفعه الله، كما قال :

(يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة المجادلة.





٤٠/ فضلُ السكوت العلمي:

قال الحافظ المِزّي رحمه الله (٧٤٢)هـ: (لو سكتَ من لا يدري لاستراح وأراح ، وقلَّ الخطأ ، وكثر الصواب)[1].



- وسكوتُه يعني أدبَه تجاهَ ربه تعالى، وتجاهَ العلم الذي تحمله ومسؤولية الكلمة ، وأن يقول :" الله أعلم " لا أدري " سأراجع " وما شاكلها من عبارات الاعتذار والتواضع العلمي، لأنَّ العلمَ بحر واسع لا يحاط به ، قال تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) سورة الإسراء.

- وصدق الإمامُ المزي رحمه الله هنا : لو سكتَ الجهال لاستراحوا وأراحوا، وفازوا بحلية الأدب والصمت، وجمال

(١) تهذيب الكمال:٢/ ٣٢٦.

الوقار، ورحم اللهَ امرءا عرف قدر نفسه ، فلجَمها بلجام الحق، فلا تقول إلا علماً ، ولا تبدي إلا خيرا ..!

- ومن فوائد ذلك: الاعترافُ بسعةِ العلم ، وأنك مهما قرأتَ وجمعت وحصّلت ، فلا تزال قاصرا وقصيرًا تجاه العلوم وكِبرها ، والمعارف وضخامتها ، بل تشعر بالحرج العلمي تجاه ماتطالع وتعاين، وأنك صرتَ في الشبر الثالث: وهو انعدام العلم تواضعًا لله وخشوعًا ، كما تقدم ... ومن فوائدها: قلة الخطأ وكثرة الصوابات، لأنَّ منشأ الخطأ من جهالة أو نقصان المعرفة، أو الحماس المتهور، أو الادعاء العجل دون برهان وأدلة ، فتكثر الأخطاء، وتشتد الردود والأسفار، وهذا من أسباب التأليفات الكثيرة ووقوع

الأغلاط فيها، والله المستعان ، وقد اشتهر عن عليَّ رضي الله عنه:" العلم نقطةٌ كثرها الجاهلون ". والسلام .





٤١/ فضلُ الشيوخ الكملة:

قال الشاطبي رحمه الله (٧٩٠)هـ : (من أنفعِ طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به ، أخذُه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام)[١] .





- من حُسنِ المنهجيةِ العلمية وتقويمها، أخذُه العلم من أهله المتقنين، وحملته المحققين ، فليس كلُّ من تعالمَ أو تمشيخ صار عالمًا وشيخًا ، وإنما للعلم أهله الصادقون ، وأربابه الحذاق المكينون..! فمِنْ هؤلاء فابحث ، ولعلومهم فالتمس، ولدروسهم فارحل، فالشيخ مفتاحُ علمٍ ونباهة ،

---

[١] الموافقات ١/ ١٣٩ .



كما أنه مفتاحُ تقوى وزكاة ، وهو كذلك نافذة صناعة وتأثير...

- ومن الخطأ جمعُ العلم من غير أهله ، أو من بعض الإنشائيين أو الوعاظ أو الأدباء أو الكتاب..! وليس من أهل الصنعة ، وإنما هم علماء في تخصصاتهم ، فلا تخلط السكر بالملح ، أو الماء باللبن، وارشف لكل علمٍ نبعه ونهره...!
- ومن أضرارِ ذلك : قلةُ الفهم وضعف الإتقان ، ولمّ التصورات الخاطئة ، ولذلك خذ الفقه من الفقيه، والحديث من المحدث، وعلم التفسير من حملته ، واللغة من روادها ، والشعر من حذاقه ، وهلم جراً... وقد اشتهر قول بعض الحكماء : " من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب " . ولا



عجيبةَ أشنع من قولٍ غير متخصص ، أو فهمٍ مختل، أو غلطٍ مصوَّب...!

- واحذر نصفَ الشيخ، وحاطب الليل، والفتى المتصدر ، ومستعجل الظهور ، والمتجاسر على العلوم، فضررهم أكبر من نفعهم ، والسلام .



٤٢/ خطرُ الذنوب على العلم :

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨)هـ : (إنَّ من الذنوب ما يكون سببًا لخفاء العلم النافع ، أو بعضه ، بل يكون سببًا لنسيان ماعُـلِم)[١].



- الـذنوبُ شـؤمٌ علـى صـاحبها ومـن تبعاتهـا إخفـاء العلـم أو إذهابه، لأنَّ الذنوبَ جراحـات ، وربَّ جرج أصـاب مقـتلًا ، أو ضـيّع بركـةً، أو بـدَّد خيـرًا ، وأورث نسـيانا ...! ولا يليـقُ بعالم أو طالـب علـمٍ أن يتـورط في معـاصٍ تكـدر خـاطره، أو تفسدُ صلاحه ، أو تشوشُ عقله وفقهه ...!

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٩٦



- ومن استشعرَ حلاوةَ العلم وخطورةَ الذنوب حافظَ على استقامته ، وصانَ علمه، وضبط سلوكه، ولم يخض مع الخائضين ، ولابن القيم رحمه الله تلميذ شيخ الاسلام كلام نفيس مفيد في الجواب الكافي: " وإنَّ مِنْ شؤمِ المعصيةِ على صاحِبِها ما يلي: أنَّ المعصيةَ تُورِثُ صاحِبَها وحشةً في القلبِ، وتَكونُ سببًا في حِرْمانِ العِلْمِ والتوفيقِ: وذلِكَ أنَّ القَلبَ بيْتُ الربِّ – تعظيما وإجلالًا – فإذا عُمِّرَ بَغيرِ ذِكْرِ مولاه أظلَمَ، وبِقَدْرِ إعراضِ العبدِ عنْ ذِكْرِ اللهِ يكونُ لَديهِ مِنَ الضّنْكِ وضيقِ الصّدرِ وانقباضِ النَّفْسِ، وإنْ انطَلَقَ صاحبُها في الحياةِ فَهُوَ غيرُ سعيدٍ، لأنَّ التّقيَّ هُوَ السعيدُ. قال ابنُ عباسٍ وأنسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: إنَّ للحسنةِ نورا في القلبِ،

وزينا في الوَجْهِ، وقوةً في البَدَنِ، وَسِعَةً في الرِّزْقِ، وَمحبةً في قلوبِ الخلْقِ، وإنَّ للسيئةِ ظُلمةً في القلْبِ، وشينا في الوَجْهِ، وَوَهنا في البَدَنِ، ونقصا في الرِّزْقِ، وبُغْضَةً في قلوبِ الخلقِ...

- ومنها : حِرْمانُ الطاعةِ، وذلك أنَّ الطاعةَ قُربةٌ إلى الملكِ الديَّانِ، فَلا يَجِدُ عبدٌ لذةَ الطاعةِ إلا بابتعادِهِ عنِ المعصيةِ، ولِذَا قَالَ سُبْحانَه في المنافقينَ: «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» [التوبة: ٤٦]. قَالَ الفضيلُ رحمه الله : إذا لمْ تقْدِرْ على قيامِ الليلِ، وصيامِ النهارِ، فاعلمْ أنَّكَ مَحرومٌ

مُكبَّلٌ كبَّلتْكَ خطيئتُكَ. وقَالَ شابٌ للحسنِ البصريِّ: أعيـاني قيامُ الليلِ، فقَالَ: قيَّدتْكَ خطاياك...! والله الموفق .



٤٣/ الإسراعُ العلمي :

قال الحافظ أبو إسماعيل الهروي رحمه الله (٤٨١)هـ :

(المحدِّثُ يجب أن يكون : سريع المشي، سريع الكتابة، سريع القراءة)[١].



- المرادُ بسرعةِ المحدث والعالم استعجال الوقت ، ومبادرة الزمان، واهتبال الفرص، بحيث لا يطلب العلم بتباطؤ ، ولا القراءة بترسل، ولا البحوث بأناة، لأنَّ العمرَ قصير ، والعلومَ واسعة، والعمرَ محدود ، والمعارفَ متدفقة، والترسلَ الميت تجاهها يحرمُ نفائسها ، ويحول دون بلغات أعلاها أو غاياتها..

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٤٩



- ولـذلك اسـتحبوا للمحـدث سـرعةَ المشـي إلـى درسـهِ وحوائجه ، والسـرعه في الكتابـة لينجـز مخطوطاتـه، ويظفـر بنسـخ، ويثمـر مؤلفـات ، واسـتحبوا لـه سـرعة القـراءة التـي تساعد على الفهم، ولا تهذرم العلم، أو تمشي كالسـلحفاة ، بـل سـريعة معتدلـةً، تبلـغ العلـمُ في وقـت سـريع ، ولا تخـل بفوائده ودرره .. والمقصـود حزمًـا سـريعًا ، وعزمـا مـدفوعا بالهم والمبادرة ، ولـيس الـبطء المكـدر، والمـذهب للفوائـد والفهوم ..

- واستحبَّ بعضُهم أيضا سرعة الأكـل ، بحيـث ينـافي التبسـط الـذي يفعلـه كثيـر منـا، يأكـل في سـاعة اسـتطعاما وتحـدثًا ..

ونظمها السيوطي رحمه الله : حدثنا شـيخنا الكنـاني عـن أبـه

صـاحب الخطابـه.. أسـرع أخـا العلـم في ثـلاثٍ ... الأكـلِ والمشي والكتابةْ..! واشتهرت مقولة العلامة أبي الوفـاء بـن عقيل الحنبلي رحمـه الله تعـالى: (وأنـا أقصِّـر بغايـة جهـدي أوقات أكلي، حتى أختار سفَّ الكعك وتحسيه بالمـاء على الخبـز، لأجـل مـا بينهمـا مـن تفـاوت المضـغ، تـوفرا علـى المطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجـل تحصـيل عند العقلاء، بإجماع العلمـاء: هـو الوقـت فهـو غنيمـة تنتهـز فيهـا الفـرص، فالتكـاليف كثيـرة، والأوقـات خاطفـة). واللهُ الموفق .



٤٤/ شروط العلم وجماله:

يقول الإمام الشافعي رحمه الله (٢٠٤)هـ :(لا يجملُ العلم ولا يحسن إلا بثلاث خلال : تقوى الله، وإصابة السنة، والخشية)[١] .



- العلمُ له شروطٌ تضبطه ومحاسن تجمله، بها يصبحُ كاملًا جميلا ، وأولاها كما قال الشافعي رحمه الله : التقوى : التي تحملك على المراقبة وحسن العمل، وأن لا تنزل العلم غير منازله، وأن لا تشتري به ثمنًا قليلًا ، وبها يزداد العلمُ ويتبارك، قال تعالى :(واتقوا اللهُ ويعلمكم الله) سورة البقرة. قيل إن التقوى سبب ومفتاح للعلم وتحصيله ، كقوله (إن

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٤٥)



تتقوا اللهُ يجعلْ لكم فرقانا) وبعضُهم نفى ذلك، واعتبرها مستأنفة ، ..!

- وقال في التحرير والتنوير: أَمَرَ بِالتَّقْوى لِأَنَّها مِلاكُ الخَيْرِ، وبِها يَكُونُ تَرْكُ الفُسُوقِ، وقَوْلُهُ: ﴿ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ تَذْكِيرٌ بِنِعْمَةِ الإسْلامِ الَّذِي أخْرَجَهم مِنَ الجَهالَةِ إلى العِلْمِ بِالشَّرِيعَةِ، ونِظامِ العالَمِ، وهو أكْبَرُ العُلُومِ وأنْفَعُها، ووَعْدٌ بِدَوامِ ذَلِكَ لِأنَّهُ جِيءَ فِيهِ بِالمُضارِعِ، وفي عَطْفِهِ عَلى الأمْرِ بِالتَّقْوى إيماءٌ إلى أنَّ التَّقْوى سَبَبُ إفاضَةِ العُلُومِ، حَتّى قِيلَ: إنَّ الواوَ فِيهِ لِلتَّعْلِيلِ أيْ: لِيُعَلِّمَكم، وجَعَلَهُ بَعْضُهم مِن مَعانِي الواوِ، ولَيْسَ بِصَحِيحٍ....!



- **والثاني** : ليكنْ علمُك على السنة والسداد ، بعيدا عن البدعة والانحراف ، لأنها بابُ الانتفاع وإصابة الخير، ونيل الثواب، وبوابة الجنة ، ولا يمكن لعالم شرعي صادق، ان يجمع العلم بعيدا عن هدي رسول الله وسنته، كما قال اللهُ : (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة) سورة الأحزاب.

- **والثالث** : الخشية ، التي هي زينة العلماء ، وحلية الأولياء ، وشعار الفقهاء، كما قال المولى جل وعلا: (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) سورة فاطر . ومن ثمراتها طلب الإخلاص ورضا الله، وحفظ اللسان ، وعدم استعجال الفتيا والتوقيع ، ومراجعة النفس ومجاهدتها ، وتنزيه العلم عن الدنيا والدنايا ، وخلطه بمعاني الآخرة وبلوغ اليقين ، فليس



علمهم مجردًا عن الله ومحبته وتحقيق مرضاته ، ولذلك يؤدونه بخشوع ورهبة، وإذا تليت عليهم الآيات وجلت قلوبهم ، وازدادوا إيمانًا وإخباتا..(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) سورة الإسراء ، والله الموفق .



٤٥/ فضلُ النظر في المصحف :

قال بن تيمية رحمه الله (٧٢٨) هـ : (ما رأيت شيئًا يُغذي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة،أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى)(١).



- هـذه فائـدةٌ لكتـاب الله لا يعرفهـا ويسـتطعمها إلا العلمـاء الصادقون كابن تيمية وأمثاله ، فتعـاملوا مع القـرآن علـى أنـه كتاب نورٌ وبصيرة وتنمية، وليس مجرد تـرويح وثـواب ...! ولـذلك قـال أولا : يغـذي العقـل ، بحيـث يضـاعفُ نباهتـه وصحوته ، ويدفع خرَفه وضلاله ، ويجمِّلُ وجهته واختياره ، لا سيما وهو يخاطب العقول كثيرًا ، ويحرك مكامنها للعبـرة

(١) (مجموع الفتاوى٤٩٣/ ٧).

والاتعاظ (إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار) سورة آل عمران.

- ثانيا : يُغذّي الروح ويُشبعها فلا تشتهي شيئا سواه ، ولا تطلب طعاماً كطعامه، قال تعالى :(قد أفلحَ مَن زكاها) سورة الشمس . لانه الغذاء الحقيقي للإنسان ، ويغنيه عن الطعام المادي الجسدي ، الذي يقاتل عليه كثيرون، ويهملون الغذاء الحقيقي من الذكر والتلاوة ومجالس الأرواح ..! ولذلك تعين علينا جميعا ورد قرآني يومي، للثبات والطعام والتلذذ ..!

- وثالثا ورابعا : حفظُ الجسد صحةً وقوةً، وبلوغُ السعادة راحةً واطمئنانًا ، فالجسدُ يصانُ ويحفظُ من جراء التعاهد

القـرآني وإدامـة النظـر اليـومي، ..! وكـذلك القلـب يسـعد وينشرح (ألـم نشـرح لـك صـدرك) . (ألا بـذكر الله تطمئن القلـوب) سـورة الرعـد . فتعـيشُ قـوةً جسـمانيةً، وتسـتطعم سعادةً روحية لا نظير لهـا، إلا في كتـاب اللهِ واسـتدامة تلاوتـه وتدبره.. والسلام .



٤٦/ تنزُّلُ العلم :

قال الإمامُ الشافعي رحمه الله (٢٠٤) هـ : (لو أنَّ محمد بن الحسن ، كان يكلمنا على قدر عقله ، ما فهمنا عنه ، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه)[1].



- لابدَّ للعلم أن يتنزلَ للناس ويُبسّطُ ، بحيث يفهمه التلاميذ، ويستجيزه الطلاب..! وهذا واجبُ الشيوخ والأساتذة والعلماء ، وهذا من فقه العلم والدعوة والنصيحة ... تنزيل العلم وتبسيطه للناس، وفي ذلك تخفيف عليهم وتحبيبٌ لهم، بحيثُ يلينُ لهم ليونةً مستطابة، لا سيما في عصورنا

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢ / ١٦٥ .



المتأخرة ، وقد تراجعت الهمم، وقلّت العزمات، والله المستعان ..!

- ولذلك وسائلُ وأساليب منها: ترك فصيح الكلام وغريبه ، واللغة التي لا تكاد تفهم، وتجنب الخلافات الفقهية العويصة، وهجر المصطلحات العلمية الثقيلة، والعمل على اختيار صعاب المسائل وثقالها، والبدء بمختصرات العلوم لا طويلها . وضرب الأمثلة المعاصرة للفهم، وترك أمثلة القدماء التي تلاشت معانيها وآلاتها ووقائعها..

- وليتعامل الشيخ اللبيب مع الجدد في العلم كالتلاميذ الصغار، الذين يتعرفون على القلم والقرطاس، ويشاهدون الدنيا بعجائبها، فيسهل العلمَ، ويقربُ المعلومة ، وينتقي

الكلمات والتطبيقات ..! وفي هذا دليل على تفاوت العقول وأنّ الشيوخ ليسوا كالتلاميذ ، والصغار لا يساوون الكبار.. وهذا فقهُ يكاد يتجاوزه كثير من العلماء ولا يعملون به...

- فتجد بعضُهم يفتتحُ دروسه بمتونٍ صعبة، وكتبٍ عُرفت بالعناء العقلي، أو بلغة عالية بعيدة المدى ، والحضور لا يحفظون لغةَ القرآنَ المستعملة فضلا عن إدراك أساليب الشيخ اللغوية العالية المتكلفة ، والسلام!





٤٧/ الترتيبُ الفكري :

قال ألبرت أينشتاين العالم الفيزيائي الألماني الأصل (١٩٥٥)م : (العلمُ ليس سوى إعادة ترتيب ، لتفكيرك اليومي).



- للعلمِ والقراءة والتحصيل الثقافي آثارٌ على أصحابها ، وهي صياغةُ ترتيبه اليومي ، بحيث يفقه الأولويات ، ويجانب الفوضى ، ويتجاوز الترَفيات الفكرية ، المعطلة لعملية التحصيل الجاد، فالأصولُ قبل الفروع، والمهمات قبل الفضوليات، والتأليف في زمانه، والتدريس في لحظاته ، والتعقبات لها رجالها وأزمنتها ، وهلم جرا ...



- فالعلمُ الصحيح يَهديك الطريق، ويريكَ البينة، ويرشدك المختصر ، ويدفع الشرور ، ويجانب المضرات ، ويحملك على السلوك الجميل، والفعل اللائق ... ولكن ذلك يشترط له قراءة مسددة، واطلاع خصيب ، وفهم المقروء ، وإدراك المعالم، وإحسان التطبيق ..!

- وليس كلُّ من قرأ استرشد وأفلح ، بل لابد من قراءةٍ معينة مدققة، تُفتِّح الذهن، وتقيمُ السلوك، وتَعدلُ المسار، ولا يتأتى في المراحل الاولى ، ولكنه يبنى مع مرور الأيام، فتدرك أوليات المعرفة والزمان .. والسلام .



٤٨/ زخرفةُ الحياة :

قال أرسطو الفيلسوف اليوناني(٣٢٢) ق. م (:(التعليمُ زخرفة في الرخاء، وملجأ في الشدائد).



- التعليمُ لا يعدله شيء قيمةً وحسنا وجمالاً ، ولذلك هو زخرفةٌ في الرخاء ، وزينةٌ في الشكل ، وسحرٌ في الحياة وأمام الناس . يرتقي به المرءُ ، ويعزُّ الضعيفُ ، ويعلو الفقير، وكم من أشعثَ أغبر رفعه اللهُ بالعلم الفسيح، والفقه الخصيب ، فيُلبسه التاج، ويقلده الحليَّ المزخرفة والمنقوشة ...
- وجماله يكمنُ في لغتِه ومعانيه وطريقةِ سرده، وجواهره المدفوعة ، ودرره المنثورة ، وهذا من أسباب انجذاب الناس إلى أهله وإجلالهم لحملته .

- وهو أيضا ملجأٌ في الشدائِدِ ، ومنقذٌ في المنغصات ، ومغيثٌ في الأزمات ، ومفتاحٌ في المحن ، يرشد الطريق، ويحمل الدليل، ويهب الحل، ويصنع المخارج ، ويؤتي الثمرات... ولا يضاهيه شيءٌ من متاع ومتعها، فهو أوحدها وسيدها.. ولذلك كان نجاح الطلاب في المدارس منوطًا بالعلم وحفظه ، ولو وُجد شيءٌ يساويه لكان هو المرجح في تلك الامتحانات المشهورة ، والتي باتت معيارا للنجاح والارتقاء والنهوض للأفراد والدول والمجتمعات ، والله الموفق .



٤٩/ الكتب الجذابة:

قال فولتير الفيلسوف الفرنسي (١٧٧٨) م : (إن أنفعَ الكتب هي تلك الكتب، التي تستحثُّ القارئَ على إتمامها).



- يختلفُ تفسيرُ الناس في معنى الكتب النافعة وسحرها الخطاف ، وهنا يفسره ذلك الفيلسوف بأنها التي تدفعك بقوة على إتمامها ، بحيث ينقشعُ عنك المللُ ، ولا تطعمُ السآمة ، ففيها من جمال الأسلوب، وروعة اللغة، والموضوعِ الآسر ، والمفردات الرائقة، ما يجعلك تلتصق فيها، وتحبها وتُجلها..! فهذا هو الكتاب النافع .
- وانجذابُ الناس للكتب لا يحسنه كل الكتاب ، ولكنه هبةٌ من الله تعالى يؤتيها لبعض الأقلام ..! وفي عصرنا صارت



الطبعاتُ الجميلة والملونة هي الجذابة عند كثيرين ، أكثر من العالمِ حقا ، والقلم تأثيرًا ، والأسلوب قناعةً...! ومع ذلك يوجد فئاتٌ لا تزالُ تبحث عن الفائدة عند أرباب الأقلام المتقنة ، واليراعات الوهاجة..،!

- وهنا درسٌ للكتاب والمؤلفين أن لا يستعجلوا التأليفَ دون دربةٍ ودراية بمعاني التأثير والجاذبية ... ولذلك عليهم العنايةُ بعنصرين في التأليف: المقدمة ، والموضوع ..! فكلما كانت المقدمة قويةً ساحرةً، كان أدعى لانتشار الكتاب وقراءته ورواجه عند الخلائق..
- والموضوعُ الجديدُ غير المكرر، مما تتهاوى له النفوس ، وتتسامع به الأرواح ، وتود لو طالعته، لا سيما وقد حمل

حلًّا جديدا ، او معالجة طيبة، أو تحليلات مقنعة، ولذلك عظمت الرسائلُ الجامعية غالبًا لأنها ذواتُ موضوعاتٍ مبتكرة، ليس فيها تقليدا أو محاكاة.. والسلام .





٥٠/ الإيمانُ بفكرة :

قال جورج برنارد شو الأديبُ الإيرلندي

(١٩٥٠)م: (يمكنك أن تعملَ ثمان ساعات يوميًا ، من أجل الراتب ، وعشرَ ساعات من أجل المدير الجيد ، وأربعًا وعشرين ساعة ، من أجل فكرة تؤمن بها).



- وأعظمُ فئةٍ تؤمنُ بالأفكار، وعملُها وسلوكها ، يحملها على ذلك هم "العلماء" في كل مجال، ولذلك هم دائما عكوفٌ على القراءة أو البحث أو التدريس أو التحقيق العلمي والتجريبي، ويستغرق بهم الزمان جداً وعملًا وتفكيرا وتنقيحًا..!

- ولذلك يخلصون لأفكارهم أكثرَ من غيرهم، حيث يجدون فيها لذتهم ، ويلبون غايتهم، ويستطعمون ذاتهم ، ومن ثم نقل لنا اطلاعهم الطويل ، ولصوقهم بالكتب ، وسهرهم الليالي، واستدامتهم التأليف ، وتكرارهم المصنفات كما تقدم. حيث تجد بعضُهم يكرر الكتب مئات المرات...
- والسببُ إخلاصه للفكرة، وطموحه العلمي، وتغذيته العقلية، واستنباطه العلمي، وفرزه التحليلي...! وهذا الإخلاصُ الفكري لا يُشترى بالأموال والدراهم ، ولكن بالهم والذوق الداخلي ، وقد رأينا أعمالَ الموسسات العلمية التجارية ، وأعمال سواها من أفراد ، وكان الفارق بينًا لكل ذي لب وإنصاف ، فعش لفكرة يا طالب العلم،

ونافس الزمان لأجلها، وتعلم من مشاريع الأقادم ، كيف بدأت بفكرة ، وانتهت إلى مشاريع جبارة، وموسوعات عميقة ، كصحيحِ البخاري وتفسير ابن جرير ومغني المقدسي ، والفتح للحافظ وأشباهها.. والله الموفق .



تم كتاب (روانق العلم عند الحكماء)

والحمد لله على توفيقه وتيسيره وتسديده .